

نَبْدَةُ مُخَصَّرَةٍ مِنْ زُصَالِحِ
وَالِدِي الْعَلَامَةِ
مُقْبِلِ بْنِ هَارِي الْوَارِعِي
وَسَيَرْنَاهُ الْعِطْرَةَ

تَأَلَّفَتْ
أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ السَّيِّحِ مُقْبِلِ بْنِ هَارِي الْوَارِعِي

دارُ الأُتُونِ
للنَّشْرِ وَالتَّوَزُّعِ

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى الآثار

دار الآثار
للنشر والتوزيع

www.dar-alathar.com

اليمن - صنعاء - شارع تعز - مقابل مسجد الخير - هاتف وفاكس ٦٠٣٢٥٦

ص.ب. ١٧١٩٠ بريد إلكتروني info@dar-alathar.com

المكلا - حي العمال - أسفل المسجد الجامع - هاتف ٣٠٧١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، القائل في كتابه العزيز: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين.

والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد: فإن للموت أجلاً محتوماً لا بد أن تذوقه كل نفس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.
وقال جل وعلا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^(٢).

وقال جل في علاه: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣).

وقال نبينا ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك».

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥، وفي مواضع أخرى من كتاب الله.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

وقال عليه السلام: «أعذر^(١) الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن موت العلماء لمصيبة عظمت، وداهية كبرى، كيف لا وبم يقبض العلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ين من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً الناس رؤساً جهالاً، فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». متفق من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

وبموتهم يقل الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وبموتهم يا طلبة العلم إلى نصائحهم وتوجيهاتهم، إلى غير ذلك من الأمور.

وإن من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه وم فواجب على كل أحد وقع عليه قدر الله أن يرضى به ويسلم، وإن قضاء الله وقدره موت والدنا وشيخنا ومربينا الإمام العلامة محدث ال اليمنية أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمته الله رحمة الأبرار، وأه فسيح جناته، وإن هذا لأمرٌ عصيب ليس لأنه والد فحسب، بل ول ولأخلاقه الرفيعة، بل هذا الثاني -والله على ما أقول شهيد- أعذ فنقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرننا في مصيبتنا، واخلف لنا منها.

وهذه المصيبة تعتبر مصيبة على الجميع، لهذا حزن عليه ال

(١) قال العلماء: معناه أنه لم يترك له عذراً إذا أمهله هذه المدة يقال: أعذر الرجل، إذا بلغ العذر. اهـ من «رياض الصالحين».

والكبير، والرجل والمرأة، فنقول: أحسن الله عزاء الجميع، ونقول: إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلنصبر ولنحتسب، وإن العين لتدمع، والقلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا والدنا لمحزونون.

فهذا العلم الهام، الجهد النقاد، والعلامة التحرير، موته ملاً للقلوب بالأسى والحزن، وإن هذه لبشارة عظيمة للوالد عليه رحمة الله، إذ أحبه جميع العقلاء، لأنه لا يمكن أن يحبه عقلاء الناس إلا إذا أحبه الله، بل لا يمكن ذلك لأحد إلا بعد محبة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية، يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من غير وجه.

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا عفان، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل إذا أحب عبداً دعا جبريل ﷺ فقال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل عليه السلام، قال: ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً، قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في

(١) سورة مريم، الآية: ٩٦.

الأرض، وإن الله عز وجل إذا أبغض عبداً دعا جبريل، فقال: يا جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

رواه مسلم من حديث سهيل، ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن نافع مولى ابن عمر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه. اهـ باختصار.

وقد ألهم الله جل في علاه المؤمنين الصادقين الثناء عليه بالخير في حياته وبعد مماته، وهذا جليٌّ في إثبات بشارة أخرى للوالد عليه رحمة الله، فقد أخرج الشيخان البخاري (٢٢٨/٣) ومسلم (٦٥٥/٢) من طريق عبدالعزيز بن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: مروا بجزاة فأتئوها عليها خيراً فقال النبي ﷺ: «وجبت» ثم مروا بأخرى، فأتئوها عليها شراً، فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض». واللفظ للبخاري.

ولا يتوهم أحد أنني أجزم له بالجنة، فإن العقيدة الصحيحة هي أنه لا يشهد لمعين بالجنة ولا بالنار، إذا كان من أهل الإسلام، إلا من شهد له النبي ﷺ بذلك.

قال الطحاوي رحمه الله في أهل القبلة: ولا نزل أحداً منهم جنة ولا

ناراً. اهـ

لكننا نرجو للمحسن الجنة، ونخاف على المسيء من النار. راجع "شرح ابن أبي العز" للطحاوية ص (٣٧٨).

وشبخنا ووالدنا وإن مات وفارقنا بجسده، فذكره حي بين ظهرانينا، وكتبه وآثاره بين أيدينا، وخلف طلابًا ومشايخ في كثير من القرى والأمصار^(١) في اليمن وخارج اليمن، وبعضهم كان الوالد يعرفه وبعضهم لا يعرفه، لكثرتهم، وقد كان ﷺ إذا رحل دعوة إلى الله عز وجل ونزل في بعض الأماكن يستقبله جمع غفير ويخبرونه بأن عندنا فلانًا وفلانًا، وهم من طلابكم، والوالد لا يعرفهم، وهذا من فضل الله عليه، ولهذا يقول القائل: لئن مات مقبل لقد خلف مقبلين كثيرًا.

ألا فليمت الأعداء بغيظهم، فالنهج الذي نهجه الوالد ينهجه حملة هذا الدين ويسلكونه بإذن رب العالمين، على بصيرة ونور، لا بعصية وتقليد، فإن الدين دين الله، والدعوة دعوة الله، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ﴾^(٢).

فربنا قد تكفل بحفظ دينه، وجعل له أنصارًا وحماة ينافحون عنه، وإن دعوة أهل السنة إن شاء الله ستظل باقية حتى تقوم الساعة، وإن هذا مما يخفف أسانا على الوالد ﷺ، أسأل الله أن يأخذ بأيدي القائمين عليها إلى كل خير.

ولقد وصل الضلال بأعداء هذه الدعوة أنهم يتربصون بها وبمحاماتها

(١) الأمصار: هي المدن العظيمة.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩.

الدوائر، خيبهم الله! وقد فعل في حياة الوالد وبعد مماته.

ووصل بهم الضلال أيضًا أنهم يشوهون هذه الدعوة المباركة، ويظهر في مظهر بشع، وهذا يدل على حقد عميق فيهم على هذه الدعوة وحما: ويدلك على معجزة إلهية، فرغم تكالب المتكالبين على القضاء عليها و حمايتها إلا أنهم باءوا بالفشل، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو الكافرون.

وأما كون والدنا وشيخنا ﷺ مات فإن هذه سنة الله في خلقه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢١﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْأَلْكَرَامِ ﴿٢٢﴾﴾^(١).

ويقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢).

وقد مات رسول الله ﷺ وهو أفضل الخلق على الإطلاق، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَادَ قُلُوبُنَا فُتِنًا لَعَنَّا لَعْنَةً أَعْقَبَكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: أما بعد: فمن كان منكم بمحمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

أَوْ قُتِلَ أَنْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠٠﴾

فكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبوبكر، فتلقاها منه الناس كلهم، والقصة في البخاري (ج ٨ ص ١٤٥) عن ابن عباس.

وكذلك مات الخلفاء الراشدون فن بعدهم إلى زمننا هذا.

قال زهير بن أبي سلمى:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
وقال الشافعي رحمه الله:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي ينبغي خلاف الذي مضى تهباً لأخرى مثلها وكأن قد
ثم إن العلماء وإن ماتوا، فعلمهم وخيرهم وذكرهم لا يزال موجوداً على
مرّ الدهور، يُترحم عليهم في اليوم الواحد كرات ومرات، فعندما نقرأ في
"صحيح البخاري" نقول: قال الإمام البخاري رحمه الله وعندما نقرأ في
"صحيح مسلم" نقول: قال الإمام مسلم رحمه الله، وهلم جراً.

وكما قال الشاعر:

قد مات قوم وقد ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات
ويثنى عليهم، فقد جعل الله لهم لسان صدق في الآخرين، فجثثهم
فارقتنا فقط، وأما ذكرهم وعلمهم ومؤلفاتهم فباقية، فهنيئاً لهم كم هدى الله
على أيديهم، وقد قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في

«الصحيحين» من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم». وما بالك بمن هدى الله على يديه أمناً.

وكم خلفوا من العلم والخير، وقد قال النبي ﷺ - كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة -: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله، إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». وإني لأرجو أن تكون هذه الثلاث الخصال قد اجتمعت لشيخنا ووالدنا رحمه الله.

أيها القارئ الكريم: هذه الكلمات المختصرة التي بين يديك قد كان جلها مكتوباً في حياة الوالد رحمه الله ولم يرد الله طبعها إلا بعد وفاته، وإني عندما عرضت على الوالد الكتابة في هذا الموضوع كان رده عليّ: كل فتاة بأبيها معجبة.

وعلى أية حال فلقد قوي العزم وكتبت نبذة^(١) في ذلك مع ملازمة الإنصاف والعدالة بدون غلو ولا تعصب بباطل، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٢).

(١) أسميتها «نبذة مختصرة من نصائح والدي العلامة مقبل بن هادي الوادعي وسيرته العطرة».

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

وبقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(٢)، الآية.

إلى غير ذلك من الأدلة، هكذا يأمرنا ربنا بالعدالة مع القريب
والبعيد، والعدو والصديق، ولن تقوم لنا معشر المسلمين قائمة ونحن نجور
في أقوالنا وفي أفعالنا وفي سلوكنا، أعاذنا الله من ذلك.

والحامل لي على الكتابة في هذا الموضوع ثلاثة أمور:

الأمر الأول: رد شيء من المعروف والإحسان لأهله فقد قال الله تعالى
في كتابه الكريم: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٣).

وروى أبوداود في «سننه» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا
يشكر الله من لا يشكر الناس». والحديث صحيح.

قال النووي رحمه الله في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٨): فإن شيوخه
في العلم آباء في الدين، وصلة بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يقبح جهل
الإنسان والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم
وبرهم وذكر مآثرهم والثناء عليهم وشكرهم. اهـ باختصار.

وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذويه، وإن الفضل لله ثم للوالد،

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

فهو الذي أرشدني للحق وحببه إليّ وهياً لي سبله، فلولاً الله ثم والدنا ما
جئنا ولا رحنا، فالفضل لله ثم له، وإني أنبه هنا إلى بعض اللثام الذين
يقابلون الحسنة بالسيئة، ولا يعترفون بالفضل لمعلميهم، وما حالهم إلا كما
قيل:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني
وكما قيل:

لما امتلا أفقدنا نفعه وتلك من شيمة بيت الخلا
نسعى إليه إذ غدا فارغاً وما به نفع إذا ما امتلا
وكما قيل:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي كما لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت بقربه مع الأمن ألبان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى إذا ما تمكنت فرت به بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من يوجه معروفًا إلى غير شاكر

مرجع هذه الأبيات الأخيرة "المفرد العلم" ص (٧٦) لأحمد الهاشمي.

ويا قاتل الله من لا يعرف المعروف لأهله^(١) وقد حصل هذا من بعض
طلاب الوالد قديماً من هذا حاله، فأبان رحمه الله مكرهم وأوضح للناس سوء
فكرهم، وما خسروا إلا أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا

(١) وإن من هذا حاله فقد بقيص الله له من لا يعرف قدره ويزدرجه فكما تدين تدان والجزاء من
جنس العمل.

عَزَّكُمُ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿١﴾.

الأمر الثاني: بيان شيء من مناقب الوالد ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ ^(٢) فأنا إذ أسطر ذلك لتقوى حجة المحق فيهتدي به في إقامة الحق، وتضمحل دعاوي المبطل ويموت كمداً من مبتدعة ومتصوفة وحزبيين وإخوان وغيرهم من ذوي الأهواء الذين نصبوا أنفسهم لعداوة السنة وأهلها، والذين يشفي صدورهم الوقوع في أهل السنة وتشويه سمعتهم، ويخرج صدورهم ويغيظها الشناء عليهم، ولا غرابة في ذلك، فإن هذا شعارهم.

قال الحاكم رحمه الله في "معركة علوم الحديث" ص (٤): سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول: سمعت جعفر بن أحمد ^(٣) بن سنان يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه.

وقال الحاكم رحمه الله: وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع، لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الخشوية. اهـ

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٣) في "المعرفة" محمد والمثبت من "عقيدة السلف" لأبي عثمان الصابوني ص (٣٠٠) و"ذم الكلام وأهله" لأبي إسماعيل الهروي (٧٢/٢) و"شرف أصحاب الحديث وأهله" للخطيب ص (١٥٦).

رجال الإسناد:

شيخ الحاكم معروف بالحفظ والإتقان، وهناك شيخ آخر يقال له علي بن الحسين، ويكنى بأبي أحمد ونسبته التميمي وجعفر بن أحمد وصفه الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٧٥٢/٢) بالحافظ الثقة ابن الحافظ أبي جعفر القطان الواسطي، ووالده أحمد بن سنان هو الحافظ الحجة صاحب المسند قال أبوحاتم: ثقة صدوق.

وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: هو إمام أهل زمانه. اهـ من «تذكرة الحفاظ» (٥٢١/٢).

فالأثر صحيح.

وقال أبوعثمان الصابوني إسماعيل بن عبدالرحمن في «عقيدة السلف» ص (٣٠٣): سمعت الأستاذ أبا منصور محمد بن عبدالله حمشاذ العالم الزاهد يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقرئ الرازي يقول: قرئ علي عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع سمعت أبي يقول -عني به الإمام في بلده أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي- يقول: (عَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ).

والأثر رجاله ثقات ومنهم أئمة معروفون.

وقال أبوعثمان الصابوني (ص ٢٩٩): وعلامة أهل البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم. اهـ

ومن جهل شيئاً عاداه، قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا

يَعْلَمُهُ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِتَائِيَّتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّ قُلُوبُهُمْ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (٣).
وقال الشاعر:

أتانا أن سهلاً ذم جهلاً علوماً ليس يدرين سهل
علوماً لو دراها ما قلاها (٤) ولكن الرضا بالجهل سهل
وبعضهم ما أتي عن جهل، فهم يعلمون جيداً ما لهم وما عليهم،
ولكنهم عموا وتعاموا لأجل المادة، حبها شغف قلوبهم، لذا عادوا أهل
السنة وعند الله الموعد: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٥).
ولله أسرار في حكمه، فإ يدرينا أن هذا خير لأهل السنة، فقد قال
تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ
لَكُمْ﴾ (٦).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

(١) سورة يونس، آية: ٣٩.

(٢) سورة النحل، آية: ٨٤.

(٣) سورة الأحقاف، آية: ١١.

(٤) أي: أبغضها، ومنه قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

والشاعر يقول:

وربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سبباً ما مثله سبب^(٢)
وإن من حكمة الله الباهرة إذ جعل في وجه الحق معاندين كي يعلم
المحق من المبطل، و الكاذب من الصادق، والخيث من الطيب، ولا يزال
الحق والباطل في صراع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والشاعر يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار في جزل الغضا^(٣) ما كان يعرف طيب عرف العود
الأمر الثالث: معرفة مناقبه والاتصاف بها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فِيهِدْتُهُمْ أَقْتَدَ﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾^(٥) ولقد كان والدنا وشيخنا من
أئمة الهدى الذين لا يحسن الجهل بهم، فإن ذكر صفات أمثال هؤلاء
الأفذاذ مما يعين على الخير، ويعلي الهمم، وعظة للمتدبرين، وكما قيل: إن

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) مرجع هذا البيت «زاد المعاد» لابن القيم (ج ٣ ص ٣١٠).

(٣) الغضا: شجر معروف يقال: أرض غضباء كثيرة الغضا، ويقال: إبل غضبية: اشتكت عن أكل
الغضا. اهـ من «معجم المقاييس» لأحمد بن فارس.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٥) سورة لقمان، الآية: ١٥.

التشبة بالكرام فلاح.

وهذا أحد مقاصد اعتناء المكتبة الإسلامية بتراجم أئمة الدين رحمهم الله، كـ"تاريخ دمشق" و"تاريخ بغداد" و"سير أعلام النبلاء" ونحوها. ويقول الشاعر:

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك

هذا وقد اعتنى طلاب الوالد رحمه الله بذكر تراجم له بين موسعة ومختصرة نظماً ونثراً، وخصوصاً بعد وفاته، لأنهم يعتبرون حياته دعوة إلى الله، وقدوة في الخير.

كما أن الوالد قد ترجم لنفسه ترجمة مختصرة فيما يتعلق بسيرته، وبعض الأمور كتلقيه للعلم، وأمور الدعوة، ونشأته في ذلك وغيره، ويتحاشى ذكر ما له من المحامد التي ينبغي لغيره بيانها للناس كما قدمنا.

لهذا ما كتبه هنا هو كضم زيادة وتتميم فائدة بالنسبة لما كتبه الوالد رحمه الله، ولما كتبه أفاضل طلبة العلم في ذلك حيث والشاهد يرى ما لا يراه الغائب، وما نقص هنا يرجع إليه هناك، فكل منها متمم للآخر لا يستغنى بواحد منها عن الآخر.

والله الموفق للخير، وإياه أسأل أن يصلح لي سيرتي، وأن يصلح لي ذريتي، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

الوالد العلامة الوادعي رحمه الله

هو الشيخ، الزاهد، العلامة، الفقيه، المحدث، إمام عصره، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي بن مقبل بن قايدة الوادعي ثم الهمداني.

مات أبوه رحمه الله وهو صغير لا يعرفه فعاش يتيمًا، وبقي في حضانة والدته رحمها الله فترة، وكانت تطلب منه أن يشتغل في المال، وتأمره أن ينظر إلى حال مجتمعه كي يكون مثلهم فيعرض عن ذلك ويقول لها: سأذهب أدرس، فتقول له: الله يهديك، تدعو له بالهداية كما أخبرني غير واحدة^(١) من القريبات اللاتي أدركن ذلك الحين، ولعل دعوة والدته وافقت ساعة استجابة فصار من المهتدين، وصار هاديًا مهديًا، وعالمًا شهيرًا، نحسبه زكيًا.

ونشأ في بيئة ساد فيها الجهل والشرك والخرافات والغلو في أهل البيت، فكان الدين كله هو حب أهل البيت، ملأ ذلك حاضرها وباديها. ولم يكن أحد يعينه على الخير، وعلى طلب العلم والاستقامة، ولم يكتفوا بذلك، بل زاد كبراؤهم آنذاك الطين بلة^(٢)، فحاربوه وآذوه وأثاروا عشيرته والعوام أيما إثارة عليه، وهُمُّوا بقتله.

(١) كنت قد سألت الوالد رحمه الله عن هذا لأثبت، فابتسم، وقال: ما أدري.

(٢) أي: زادوا مع عدم الإعانة المحاربة.

فلقي من قومه من المتاعب والمشاق والمحن ما الله به عليم، لاسيما من الهاشمين، أعني الشيعة منهم، وذوي المصالح الشخصية من مشايخ قبائل البلاد خوفاً منهم على مناصبهم ومرتباتهم الدنيوية الفانية، ليس إلا، فإنهم قد كانوا مبجلين لدى الناس ويختلسون أموالهم بالباطل.

فحقاً لقد ابتلي ابتلاءً عظيماً، فقد كان يواجه أمةً من الجهلة وذوي الأهواء وهو بمفرده، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولقد كان في الأعراس في بدء دعوته يأتي إليهم ويصرخ بأعلى صوته: إن اختلاط الرجال بالنساء منكر، فيقول قائلهم: النساء بين الرجال كالريحان. هذا صنف، وصنف آخر يهاب من الوالد ويختفي، كما أخبرني إحدى النساء اللاتي أدركن ذلك.

فتحمّل ما يواجهه من السخرية والاستهزاء، ولم يعقه عن مواصلة السير في خدمة دين الله وإقامة شعائره، والتزود من العلم النافع بل ازداد ثباتاً وتمسكاً بدينه وحرصاً على نشره في أوساط المجتمعات باللسان والبنان، وبذل أقصى ما في وسعه في إعلاء كلمة الله.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فإن ما حصل لوالدنا حصل لمن قبله من الأنبياء فمن بعدهم من الصالحين من الأذى والهجم بالقتل والطرده.

وهذا أمر لا مناص لأحد منه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُبْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (١) وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١-٣.

الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٢﴾ إلى غير ذلك من الأدلة التي تبين أنه لا بد من الابتلاء.

وكلُّ يُتلى على حسب دينه، وأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، كما جاء عن النبي ﷺ.

ومن كلام والدنا وشيخنا: أتريد أن تقدم للإسلام شيئاً ولا يُتَّكَمَ فيك.

أتريد أن تقدم للإسلام شيئاً وتجاهم مسحون جنبك، ويقولون: كثر الله في الرجال من أمثالك؟ اهـ

ولا يزال كيد الكائدين يزداد حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

وما ذلك إلا بسبب ما آتاه الله من قبول ومحبة لدى الناس ورفعة قدر بين طلبه العلم وسائر الناصحين لدين الله من أهل السنة وأنصارهم.

فقد زاده الله علماً وخيراً، وازداد أعداؤه له حقداً، خيبهم الله ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٣﴾.

وقال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة البروج، آية ٨.

فقال رسول الله ﷺ: «أخرجني هم»؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي. متفق عليه من حديث عائشة ضمن حديث طويل.

واعلم أيها اللبيب أن الناس لا يستطيعون أن يباشروا الناس بالطعن في دين الله، لأن من الناس من لديه غيرة على دين الله بفطرته السليمة، فطعنوا في الأشخاص والدوات، ليتوصلوا إلى الطعن في المنهج والدعوة، وقد ذكر ابن خزيمة رحمه الله نحو هذا في الكلام على أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم، فلا يفهمون معاني الأخبار. نقله عنه الحاكم في «المستدرک» (ج ٣ ص ٦٢٩) ط دار الحرمين.

بيد أنه -ولله الحمد- فقد قيظ الله لوالدنا وشيخنا رحمه الله بقدرته التامة بعضًا من عشيرته يحمونه ويدافعون عنه، بل ويمكن أن يسلم الشخص منهم نفسه في الدفاع عن عرض الوالد.

فالفضل لهم بعد الله عز وجل، فإنه إذا لم يكن هناك عشيرة تحمي من يقوم بمثل هذا بين أوساط مجتمعات شتى وطرائق قديمًا من الجهال والرعايا وأهل الأهواء، ولهذا قال لوط عليه السلام لقومه لما رأوا الملائكة في صورة بشر وهرعوا إليه: ﴿لَوْ أَنِّي بِيَدِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ عَاوِيٌّ إِلَى زُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(١)

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير»: مراده بالركن الشديد العشيرة وما يمتنع به عنهم هو ومن معه. اهـ

(١) سورة هود، الآية: ٨٠.

وَمَنَعَ قَوْمٍ شَعِيبٍ مِنْ أَذْيَتِهِ عَشِيرَتَهُ ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَّكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (١).

لهذا أقول: جرى الله قبيلة الوالد ﷺ خير الجزاء وسيظلون إن شاء الله حماة لهذه الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثبتهم الله على ذلك.

ولقد أحسنوا في هذا إلى أنفسهم فإن ربنا يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٢) ويقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣).

محبه للعلم والعلماء

وقد كان محباً للعلماء وللعلم النافع حباً جماً دخل حبه له بين لحمه ودمه وعصبه منذ طفولته، وكما أخبرنا بذلك هو نفسه.

وقد قال ذات مرة في درس له معبراً عما في نفسه من محبة العلم بتاريخ يوم الإثنين آخر يوم في شهر صفر سنة ١٤٢٠هـ: ما أحسن العلم، أحسن من الذهب والورق، وأحسن من النساء الجميلات، وأحسن من الملك. ويقول: إن شاء الله نطلب العلم حتى نموت.

(١) سورة هود: آية: ٩١.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠.

والحمد لله لقد مات وهو من كبار العلماء الأجلاء.

رسوخه في العلم

فالذي أعتقده وأدين الله به أن الوالد رحمه الله من الراسخين في العلم، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً، ولا يماري فيه إلا جاهل أحق، أو معاند خييث.

ولرسوخه في العلم النفوس تطمئن لفتاويه وأقواله كثيراً.

عقيدته وعنايته بذلك

لقد كان على ما كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم فمن بعدهم ممن تبعهم بإحسان، من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته كما جاءت من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ومن الإيمان بالأمور الغيبية وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك، بل قد ألف في العقيدة مثل كتاب «الجامع الصحيح في القدر» و«الشفاعة» و«الصحيح المسند من دلائل النبوة» و«إرشاد ذوي الفطن لإبعاد غلاة الروافض من اليمن» و«صعقة الزلزال على أهل الرفض والإعتزال» و«رياض الجنة في الرد على أعداء السنة» ودرّس في هذا المركز منها «الجامع الصحيح في القدر» و«الشفاعة» و«الصحيح المسند من دلائل النبوة» والحمد لله.

ويحسني على الاهتمام بدراسة كتب العقيدة مثل «عقيدة السلف» للصابوني، و«العقيدة الواسطية» لابن تيمية و«السنة» لعبدالله بن أحمد،

ولابن أبي عاصم، ولمحمد بن نصر المروزي، ونحو ذلك.
وقام هو رحمه الله بتدريس كتاب "التوحيد" لابن خزيمة، و"السنة"
لعبدالله بن أحمد.

ولقوة عقيدته صارع أعداء الله وأعداء الدعوة السلفية ودحض باطلهم
وقعهم بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولهذا فشلوا وباءوا
بالخسران، ولقد اعترف بذلك بعضُهم، فعندما طُلبَ من بعضهم الدليلُ
على مسألة أجاب: والله ما عَجَزْنَا أهل السنة إلا بالدليل. أما هم فهم على
دين آبائهم وأجدادهم، تقليد أعمى، أودعهم في الحيرة والخذلان، شأن
من اعتنق التقليد، كما قيل:

ما الفرق بين مقلد في دينه راض بقائده الجهول الحائر
وبهيمة عمياء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الجائر

عنايته بعلم الحديث

عُني رحمه الله جدًّا بعلم الحديث، حتى إنه يعتبر ذلك فنه لأهميته، فإن علم
الحديث عند الحفاظ الكبار نصف العلم.

قال علي بن المديني: التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة
الرجال نصف العلم. أخرجه بسنده الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء"
(٤٨/١١) ترجمة علي بن المديني.

فقهه

لا تراه يذكر مسألة إلا بدليلها (قال الله، قال رسول الله ﷺ) ففقهه دقيق ومتين، وإن كتابه «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» لأكبر دليل على ذلك، فإنه يترجم على الحديث بتراجم تشبه تراجم الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» وكان عازفاً عن الآراء الفقهية التي لا دليل عليها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

عنايته بعلم النحو

وعني رحمه الله بدراسة علم النحو هنا في اليمن قبل رحلته إلى السعودية، وبقائه هنالك لطلب العلم، حتى إنه هضم «قطر الندى» لدراسته له عدة مرات، ذلك لأنه لم يجد عند المدرسين له دروساً مفيدة، فقد كان مدرسه شيعية زائغين.

نشاطه العلمي

فهو بين أمور: إما تأليف، أو دعوة إلى الله، أو تعليم، أو مذاكرة.

حرصه على التمسك بالسنة

وهو من أحرص الناس على التمسك بسنة رسول الله ﷺ، لهذا أعلى الله ذكره، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الله يرفع الشخص بقدر

تمسكه بالسنة.

ومن كلامه: سنة رسول الله ﷺ لن نتركها ولو تعاضضنا بالأسنان.
وكان يشق عليه ويؤلمه، أن تُعرض الدعوة للإهانة، ويحذر من ذلك،
ويقول: يجب أن نتقي الله في الدعوة ولا نعرضها للإهانة.
وكان مسرورًا بما عليه كثير من الناس في هذا الزمن من الاستجابة
للحق، وبما عليه أهل السنة من القيام بواجبهم ويقول: أهل السنة بحمد
الله سدوا فراغًا، وأعداء الإسلام يهابونهم، وأمريكا مستعدة أن تساعد
الصوفي والشيوعي والكافر، لكن أهل السنة لا.

موقفه من فهم السلف الصالح

يقول رحمه الله: نحن متعبدون بفهم السلف الصالح الذي يوافق الأدلة،
ونقول: إنهم قد سبقونا إلى كل خير، وقد جاء الثناء عليهم مثل قوله
تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَنِ﴾ ^(١) الآية.

وقول النبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»
ففيه إشارات، وليس فيها تصريح بأنه يؤخذ بفهمهم.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

صراعه مع المبتدعة وذوي الزيغ

لقد كان ﷺ في خطوب وشؤون مع المخرفين وأهل البدع وسيرته معروفة في ذلك، فقد كان يشن الغارة عليهم ويستأصلهم بل كان سيفاً في وجوههم كل ذلك نصرة للحق بالحق ودمعاً للباطل وأهله وبغية فيها عند الله من الأجر، لا سيما وقد عدَّ غير واحد من السلف الرد على أهل البدع جهاداً، وذكر ابن القيم ﷺ في "زاد المعاد" (ج ٣ ص ٩) أن الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين. اهـ

وكان يتفائل ﷺ باضمحلال البدع، لما يراه من الخير، ويقرأ تلك الأبيات بترنم وقد نصحننا بحفظها:

ذهبت دولة أصحاب البدع	ووهى حبلهمو ثم انقطع
وتداعى بانصرام جمعهم	جمع إبليس الذي كان جمع
هل لهم ياقوم في بدعتهم	من فقيه أو إمام يُتَّبَع
مثل سفيان أخي الثور الذي	علم الناس دقيقات الورع
أو سليمان أخي التيم الذي	ترك النوم لهول المطلع
أو فتى الإسلام أعني أحدا	ذاك لو قارعه القُرَّا قرع
لم يخف سوطهم إذ خوَّفوا	لا، ولا سيفهمو حين لمع

ولهذا أعداء الدعوة أقنعوا رءوسهم بعد موت الوالد ﷺ بعدما كانوا مطأطين لها، حسيبهم الله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

زهده وعزوفه عن الدنيا

فهو زاهد عن الدنيا وحطامها الفاني الحقير فلا يعبأ بها جاءت أو غادرت.

ويسكن في بيت متواضع بعضه من الطين، وقد طلب منه بعض أهل الخير بالحاح هدم بيته وبناءً له بناءً فاخراً، فأبى.

فحقاً إنه على زهد جسيم ولا تعرف له صبوة ولهذا يحذر من الدنيا فمن كلامه: الدنيا تؤخر الشخص وربما تلهيه فيقدمها على الآخرة فهي تعمي وتصم. اهـ

والعزوف عن الدنيا جسيم يورث الورع والفوز بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية والراحة.

هي القناعة لا ترضى بها بدلاً فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

تواضعه

فهو لا يفخر على أحد ولا يغتر بنفسه ولا يتكبر على أحد ومن خالطه عرف ذلك منه.

وهو يقول: أنا مقصر، ويقول: لست راضياً عن نفسي.

وأخبرنا رحمه الله أنه عند أن بدأ الشيب يظهر في لحيته تألم وقال لنفسه: ماذا قد قدمت للإسلام والمسلمين.

ويقول في الدعوة حين ظهرت وعلت وانتشرت: هذا شيء أراد الله
فليس بقوتنا ولا بفصاحتنا ولا بكثرة علمنا ولا بكثرة مالنا.

ويقول: في حالة المختلطين من الرواة والمحدثين عبرة، بالأمس في
زمرة العلماء، واليوم في زمرة المجانين، فيجب ألا يفتخر بالذكاء ولا
بالحفظ.

ويقول: الكبر من أعظم الصوارف عن الخير قال تعالى: ﴿سَاصِرُفٌ عَن
ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(١)، والمتكبر مبعوض لدى
الناس ولو كال لهم الذهب بالزنبيل كيلاً.

وقال غير مرة لطلابه: أنا أعتبركم الآن زملائي.

ولهذا كله فهو من سمته وخلقه، أنه يقبل الحق حيث كان ومن كان،
ذكرًا أو أنثى، صغيرًا أو كبيرًا.

ويفرح بذلك ويدعو لمن نبهه على ذلك، وينبه على ذلك في الملأ.

وأنت ترى أيها القارئ اللبيب ذلك في الطبقات الأخرى من كتبه ففيها
زيادات واستدراكات وتعديلات.

وبسبب تواضع الوالد رحمه الله وإخلاصه وعزوفه عن الدنيا صار مرجعًا
من المراجع وديوانًا للعلم وتوافد عليه الناس من كل حدب وصوب لينهلوا
من علمه، ويستفيدوا منه، يفدون إليه خماصًا، ويرجعون بطائًا، فتخرج

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦. والشاعر يقول:

العلم حرب للفقى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

على يديه جم غفير، منهم الحفاظ لكتاب الله، ولكثير من سنة رسول الله ﷺ، ومنهم الدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومنهم المؤلفون والقائمون بالتعليم في فنون شتى من العلم أسأل الله أن ينفع بهم كما نفع بشيخهم رحمه الله وقد قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ آخِصَيْنَهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (١).

وإن توافد الناس إلى هذا المركز المبارك ليدل على شهرة هذه الدعوة وعلو ذكرها فله الحمد، رغم أن والدنا وشيخنا من الذين لا يحبون الظهور.

ولهذا من كلامه: ابتليت بالشهرة.

هكذا يقول رحمه الله، والشهرة إذا لم يتطلع لها الشخص ولم يردها فليس فيها ما يחדش في المنزلة ألبتة، إنما إذا أرادها ولهذا يقول النبي ﷺ كما في "صحيح مسلم" عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه، قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

وشهرة والدنا وشيخنا من النوع المحمود، فهي بدون تطلع لها، وتعتبر دعوة إلى الله، وبياناً لطريق الحق.

والمحروم من حرمة الله، فأعرض عن علمه رحمه الله وحكمته وتوجيهاته، لذا أقول: من رغب عنه وعن أمثاله من علماء الفقه والحديث، فوالله لقد سفه نفسه وعلى نفسه براقش تجني (٢).

(١) سورة يس، الآية: ١٩.

(٢) هذا المثل يضرب به لمن يعمل عملاً يرجع ضرره عليه. راجع "تاج العروس".

وإن من عاش بقلبه وإدراكه عرف مدى فضله ومسيس الحاجة إليه.

وهنا (متفرعات في تواضعه):

فمن كلامه: نحن نجهل ونعلم ونصيب ونخطئ.

استشارته لذوي الحجى في أمور شتى وأخذه باستشاراتهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، وقوله عز وجل في مدح عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢) وبغير ذلك من الأدلة.

عدم مبالاته بكلام المغرضين المعاندين

ومن مميزاته رحمه الله أنه لا يعبأ بكلام الأعداء والمغرضين.
وإذا الفتى عرف الرشاد لنفسه هانت عليه ملامة الغدال^(٣)
وقد قيل له ذات مرة وأنا أسمع: يتكلم فيك بعض الناس. فقال: ما يضر ذنوبي أكثر. وقالها وهو منبسط والبشاشة على وجهه.
وتصور لو غيره بتلك المثابة لقال: من الذي قال؟ وماذا قال؟ وحقد على ذلك ولتوسع الأمر.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٣) في «مختار الصحاح»: الغدال، الملامة.

و ذات مرة عُصِفَتْ يده اليسرى، فقال لي: هذا بسبب ذنوبي وقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١)

عدم محبته للثناء

وكما أن والدنا وشيخنا رحمه الله لا يبالي بكلام المغرضين فكذلك لا يتأثر بالمدح، بل ولا يحبه ولا يرغب فيه ولو كان مريدًا لذلك لما تكلم في الحزبيين والخرافيين والمبتدعة وغيرهم، فاعقل ذلك يا من لا تعقل ولا يحل لك أن تتعدى طورك.

خوفه الشديد على نفسه من النفاق

ومن كلامه: الذي لا يخاف على نفسه النفاق مغرور.
قلت: وهذا شأن المؤمنين أنهم يخافون على أنفسهم من النفاق.
روى الإمام مسلم في «صحيحه» (٢١٠٦/٤) من حديث حنظلة الأسدي قال: لقيني أبوبكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات^(١) ففسينا كثيرًا. قال أبوبكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبوبكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك»، قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأي عين^(٢) فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات نسينا كثيرًا فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات.

وقال ابن أبي مليكة عبدالله: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف على نفسه من النفاق. أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان بصيغة الجزم.

قال الحافظ ابن حجر: ذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم.

وقال ابن بطال في «شرح البخاري» (١/١٠٩): إنما هذا والله أعلم لأنها طالت أعمارهم حتى رأوا من التغيير ما لم يعهدوه ولم يقدرُوا على إنكاره فخشوا على أنفسهم أن يكونوا في حيز من داهن ونافق. اهـ

ويقول الوالد رحمه الله عن قاعدة (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا

(١) جمع ضيعة وهي: الحرفة

(٢) أي: نراها بأعيننا

بعضًا فيما اختلفنا فيه^(١): فيها إبطال لأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي يقولها منافق نفاقًا عمليًا.

توكله على الله

فعنده ثقة قوية، ولذا تراه يكل الأمور إلى الله ويقول: التيسير بيد الله، وتراه إذا أنفق يقول: يخلف الله.

ويقول: يبارك الله، ولا يسأل لنفسه شيئًا وإنما إذا شفع عند أهل الخير تكون لذوي الحاجات الضرورية من طلبة العلم، ولبغضه للمسألة ألف رسالة بعنوان "ذم المسألة" رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

وهذا يدل على اعتماده على الله، وركونه إليه، وتصديقه بوعده، فهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢).

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا» ومع توكله فإنه يأخذ بالاحتراز والاحتياط، وليس كما يتوهم بعض الناس كغلاة الصوفية، أن التوكل يتنافى مع الأخذ بالأسباب فإن ترك الأسباب قدح في

(١) وهي قاعدة سخيفة، كان يدندن بها حسن البنا رحمه الله، زعيم الإخوان المسلمين الذين يسميهم الوالد رحمه الله الإخوان المفسلين، نسأل الله السلامة والعافية.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣٩.

الشرعية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الاعتقاد على السبب شرك، وترك العمل بالسبب قدح في الشرعية.

كرمه وسخاؤه

وقد كان متحلّيًا رَحْمَةً بالسخاء والكرم رغم قلة ذات اليد. فهو ينفق ما رزقه الله في وجوه الخير، ولا يدخر منه شيئًا ألبتة. وقد قيل له ذات مرة وأنا أسمع: يقال إن لديك مبلغًا كبيرًا من المال. فقال: لو عندي كذلك لقلت به هكذا، وأشار إلى يمينه ويساره وأمامه وخلفه. ويقدم طلبه العلم -خصوصًا المجتهدين- على من سواهم، لأنهم أحق في نظره من الآخرين.

شجاعته

كان رَحْمَةً من الذين لا يخافون في الله لومة لائم بغير إثارة فتنة، ولا يحابي فيه أحدًا، ولا يبالي بمن خالفه كائنًا من كان، وكما قيل:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
وكما قيل:

إذا ابتليت بخصم لا خلاق له فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ومن لا علم عنده أو هو قاصر في الفهم يحسب أنه شين، وقد كان هناك امرأة من تعز تراسل الوالد مرارًا وتقول: لماذا يتكلم في بعض

المبتدعة كالزندان؟ فأمرني بالرد على رسالتها الأخيرة، وأقول لها: اعرفي الحق لتعرفي أهله. وبعد ذلك كفت عن مراسلتها، ثم إن الصدع بالحق في زمننا هذا قليل ألهام عن ذلك اللهث بعد الدنيا وحطامها، مع معرفتهم للحق، ولكنهم ينبذونه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. ويتنازلون عن أحكام دينهم المرة تلو المرة، ذلك لأن كثيراً منهم أبواق ومماسح للمخلوقين، فألجمهم ذلك عن الصدع بالحق، فآثروا دنياهم على آخرتهم. وماذا تنفع الدنيا مع اقتراف المعاصي ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(١) وفي "صحيح مسلم" عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول ابن آدم مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

فوا أسفا لمن كان هذا ديدنه فضيع مستقبله فإن المستقبل هو الآخرة. والآن في هذا الزمن (قال الله قال رسول الله ﷺ) ليس هو المستقبل عند كثير من الناس، إلا من رحم الله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

سياسته

كان حكيماً ﷺ في دعوته إلى الله ومع مجتمعه وأمته، لأنه يعلم أن مبنى الدعوة ليس على الثورات والانقلابات، وأن هذا قد جُرب من قِبَل البعض، فأُتِيَ بالشر، بتشتيت شمل المسلمين وضعفهم وأساء إلى الإسلام والمسلمين، وإنما مبنى الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة كما قال ربنا عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١) ومن ثم كان يتمنى ﷺ زوال القبة المبنية على قبر الهادي المقبور بصعدة، لكنه لم يقم بهدم تلك القبة ولم يأمر أحداً بذلك، لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، فإن في إزالتها فتنة عظيمة، فبسبب جهل الناس أصبحوا يعتقدون حرمتها وتعظيمها، فلربما بطشوا بمن هدمها ولو رأوه استحلوا دمه كما قيل:

يأزبّ جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال صالحون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا
ولكان في ذلك تنفير للناس عن دينهم، فعلم أن قبل كل شيء تفقيه الناس شرع ربهم واستسلامهم له ثم بعد ذلك يكون شأن آخر وقد قال ربنا عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢).

ويأمر بالتدرج في التعليم والدعوة فلا يتحمس أحد بدون حكمة

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

وعلم، ومن ذلك أن طالب العلم لا يرجع إلى بلدته ويصلي فوراً في نعليه في المسجد فإنهم يرونه منكراً ففيه إثارة الفتن والصلاة في النعلين مستحب وليس بواجب، وكذلك الذبيحة إلى غير القبلة، فقد أصبح كثير من الناس يعتقد أن الذبح إلى القبلة شرط في صحة أكل الذبيحة، فأنت لا تذهب وتذبح عندهم إلى غير القبلة، لأن الأمر واسع من حيث الجواز، فهذا يجوز وهذا يجوز.

ويا سبحان الله لما أصبحت عنده تجربة ومزاولة للأحوال كما قال
سحيم الرياحي:

أخو خمسين مجتمع أشدي ونجذني مداورة الشؤون
ازدادت حكمته^(١) ومعرفته بعواقب الأمور وقويت دعوته ﷺ رحمه
الأبرار.

حلمه وتأنيه:

فقد كان على ثروة عظيمة من التآني والتؤدة والسكينة، ولم كان يبقى
يعالج الأمر كرات، ويصبر على المخالف لعله يتحسن فإن لم ينفع بيّن
للناس عواره وزيف شبهه، ودحض حججه الواهية:
شبه تهافت كالزجاج تخالها^(٢) حقاً وكل كاسر مكسور

(١) الحكمة هنا وضع الشيء في موضعه.

(٢) أي: تظنها.

وهذا ظاهر ليس بخاف لكل ذي لب.

وكم يُسأل جلالته عن مسألة ويقول فيها: الله أعلم. وكم سئل عن شخص فيقول: أنا مرجئ القول فيه. فيسكت عنه سنين حتى يتبين له جلياً. فهل في كلامه فيه بعد ذلك من بأس؟ إنه والله عند كل منصف لهو عين الثبوت، ولكن الحسناء لن تعدم دائماً.

وقال السها للشمس أنت خفية

وقال الدجى للصبح لونك حائل^(١)

فما بقي إلا العناد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ^(٢)، وقد كان هناك رجلان يمشيان فوجدا سواداً من بعيد، فقال أحدهما: عز، وقال الآخر: غراب، فلما قربا إليه طار، قال الذي كان يقول عز: هي عز وإن طارت.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، والحساب عند الله، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(١) شاهدنا من هذا البيت معنوي، فالسها وهو نجم صغير يحقر من أمر الشمس فيقول لها: أنت خفية، والدجى وهو الظلام يحقر من أمر النهار، ويقول: لونك حائل، أي: ليس بواضح.

(٢) سورة الحجر، الآية: ١٥.

هيبته

فكلامه تصغي إليه الأسماع، فقد ألقى الله في القلوب مهابته، وحتى لدى كثير من مخالفيه، فَحَقُّ لنا أن نتمثل بهذين البيتين اللذين قيلاً في الإمام مالك:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبته والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

حرصه على الألفة والتآخي بين المسلمين

فعند أن مر بنا في أحد دروسه الماتعة حديث أبي هريرة قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً» فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله. أخرجه الشيخان في مناقب عمر.

قال رحمه الله مستنبطاً منه: فيه مراعاة شعور أخيك في الله.

بغضه الشديد للحزبية والبدع وأهلها

يُبغض الحزبية والبدع وأهلها بغضاً شديداً لله عز وجل، فيما نحسبه والله حسيبه، ويبين حقيقة الحزبي فيقول: الحزبي هو الذي يدعو إلى فكرته وإن دعا إلى الكتاب والسنة فهو يتستر فقط والحزبية ليس لها قرون

وإنما هي فكرة.

كراهيته الشديدة لزعزعة الأمن وترويع المسلمين

يكره جدًا زلزلة الأمن وإثارة القلاقل وترويع المسلمين، وعند أن مرَّ بنا في أحد دروسه الماتعة التي كان يلقيها لنا حديث ابن عمر المتفق عليه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».

استنبط منه فقال: في هذا الحديث رد على طوائف معاصرة، منهم جماعة التكفير الذين يستبيحون دماء المسلمين.

ومنهم: جماعة الجهاد الذين يستبيحون دماء المسلمين، وهب أن الحاكم كافر، والشعب مسلم وستكون الدائرة على رأس الشعب المسلم المسكين. ومنهم الثوريون الذين يعلمون الناس الثورات والانقلابات.

وفي «الصحيحين» من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أحل الله دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

وقد أشار مسلم بعد هذا الحديث إلى حديث عائشة حيث ساقه بسنده إلى عائشة ثم قال بنحوه. اهـ

وعند أن سئل ذات مرة عن السواح هل هم معاهدون؟ فأجاب: منهم من يأتي ليفسد في الأرض ومنهم من يأتي ليتجسس، لكن الاعتداء عليهم

يقلق الأمن ويزعزعه، فلا ننصح بهذا، وهكذا كل ما كان يزعزع الأمن لا يجوز فالذي يقوم بالقضاء على السواح يعتبر مخطئاً، فما نشعر إلا وهذا البيت يرمي هذا البيت وتتعلل الدعوة والتعليم والزراعة والتجارة وليس معناه أننا راضون عن هذا. اهـ

وهذا شأن المؤمنين أنهم لا يريدون زلزلة الأمن، بخلاف أهل النفاق فإنهم يرغبون في ذلك قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ^(١) لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا^(٢)﴾.

فترويع المسلمين محرم شرعاً، روى أبوداود في "سننه" (٧٢٠/٢) وأحمد في "مسنده" (٣٦٢/٥) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ عنه أنه قال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» وفيه قصة. والحديث صحيح قد ذكره الوالد رحمه الله في كتابه القيم "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٤١٨/٢).

رحمته وشفقته

فهو رحيم بالكبار والصغار، وبالذكر والأنثى، والأطفال يحبونه كثيراً لمنزلته ولإحسانه إليهم، فهو جدير أن يقال فيه وبدون أي مبالغة: لقد

(١) قال الحافظ ابن كثير: يعني الذين يقولون: جاء الأعداء وجاءت الحروب، وهو كذب وافتراء، لأن لم ينتهوا عن ذلك ورجعوا إلى الحق ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

كان خير الناس للناس في هذا الزمن. وخصوصًا لطلبة العلم فهو يرى طلبه العلم أبناءه.

وكان يجد مشقة إذا نقصت حوائج الطلاب بل كان يقول: إنه لا يجد مشقة أكبر من هذا عليه.

وكان أمرني ﷺ أن أكون أمًا لطالبات العلم، وأن أشفع عنده لمن كانت محتاجة منهن إما لعلاج أو قوت ضروري وما شابه ذلك.

ومن رحمته أنه يغضب إذا امتنع أحد عن التدريس لإخوانه.

ومن رحمته أنه يستغل جلوسه بين الناس بالوعظ والإرشاد والفوائد والنوادر والمذاكرة فلا يكاد يخرج منهم أحد إلا وقد استفاد.

ووعظه مرغوب فيه جدًا ويختار ما يناسب القوم وأفهامهم ولا يطيل، كلمات موجزات لا يملها أحد.

ومن رحمته بالناس أنه يرسل الدعوة إلى الله في اليمن وخارج اليمن، لنشر دين الله وتعليم الناس الخير، وتحذيرهم من الشر.

ومن رحمته أنه يغرس في القلوب محبة العلم، فيذكر ما كان عليه سلفنا الصالح من الصبر على المشاق في تحصيل العلم، ومن ذلك قصة المحمدين: محمد بن جرير الطبري، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني أنهم رحلوا لطلب العلم فأرملوا، ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضرَّ بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه:

أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخَيْرَةِ، قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، وَخَصِيٌّ من قَبْلِ والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب فنزل عن دابته فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقبل: هو ذا، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون دينارًا فدفعتها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو هذا، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون دينارًا فدفعتها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون دينارًا فدفعتها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي، فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون دينارًا، ثم قال: إن الأمير كان قائلًا^(١) بالأمس فرأى في المنام خيالاً قال: إن المحمدين طووا كشحهم جياعًا. فأنفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليَّ أمْدُكم.

ويذكر فضل العلم النافع وأنه سبيل إلى الجنة فكل من سمعه وهو حي بقلبه يرغب في العلم رغبة شديدة ويتحمس جدًا للخير وتعلو همته.

ومن رحمته قوله للطلاب: يا أبنائي والله لو كان العلم يسقى في كأس لأسقيتكموه، ولكن لا يتحصل عليه إلا بكدّ وحكّ الركب، وقد قال يحيى بن أبي كثير لولده عبدالله: لا يستطيع العلم براحة الجسم. أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الصلاة.

ومن رحمته اهتمامه بالإخوة الأعاجم خصوصًا، فيقوم بعض الأحيان بتعليمهم شيئًا من الكلمات العربية ويقول: ما يضرك لو تجلس معه. أي: في تعليمه.

(١) من القيلولة. والقصة موجودة في "تاريخ بغداد" ترجمة ابن جرير الطبري.

ومن رحمته أنه ذات مرة وهو في السعودية في مرضه المعروف أُعطي مبلغًا من المال فأرسله للنساء المهاجرات، في مركز دار الحديث بدماج.

ومن رحمته أنه لا يريد أن يضيق صدر أحد من طلبة العلم وفي ذات مرة جعل أحد الأقرباء يتنازع مع بعض طلبة العلم فسمعتة رحمته يقرأ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ نَبَّأُوا الدَّارَ وَالْآيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا...﴾ ^(١) الآية.

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

من ثناء العلماء عليه

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: قولوا له: أنا أعتبره مجددًا.

وقال الشيخ الألباني رحمته الله: هؤلاء الذين ينتقدون الشيخين -أي الشيخ ربيع المدخلي والشيخ مقبل الوادعي- إما جاهل فيعلم، وإما صاحب هوى فيستعاذ بالله من شره، ونطلب من الله إما أن يهديه، وإما أن يقصم ظهره. شريط سلسلة الهدى والنور برقم (١/٨٥١) ضمن سؤالات أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل للعلامة الألباني في تاريخ ١٤١٦/٧/٩ هجرية. وروى شيخنا يحيى الحجوري، عن الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظهما الله أنه قال فيه: هو المجدد في بلاد اليمن، وأنه لا يوجد منذ زمان عبدالرزاق الصنعاني إلى يومنا هذا من قام بالدعوة وجددها كالوادعي.

عمله في اليوم والليلة

أما عمله في الفترة التي قبل سفره وخروجه من اليمن، فقد كان ﷺ إذا رجع إلى منزله بعد صلاة الفجر بين أمرين: إما مراجعة قرآن وحفظ، أو مراجعة لبحوث الطلاب، والوالد ﷺ لا يحفظ القرآن كله، وإنما شيء يسير، لكنه إذا استدل على مسألة بآيات قرآنية يذكر جملة من الآيات، أحسن من كثير من الذين يحفظون القرآن، وقد شهد له بذلك كثير من طلابه، وكذلك إذا اخبر في آيات قرآنية غالبًا يذكر في أي سورة هي.

ويقرأ أذكار الصباح وهو يمشي في مكتبة النساء، وترى شفثيه تتحرك وأصابعه تضبط العدد، وقد نسمع صوته ببعض الكلمات تغمده الله برحمته. ويبحث في الصباح مبكرًا في تلك الأيام الأخيرة في «صحيح التفسير» لكنه حال بينه وبين إتمام هذا البحث المرض الذي كان السبب في خروجه من اليمن.

ويصلي الضحى أربعًا في فناء^(١) البيت في الشمس، أو في مكان آخر بتؤدة وسكينة، وقبل الظهر بساعتين وأحيانًا أقل أو أكثر على حسب نشاطه وصحته يذهب إلى غرفته لينام، فإنه ﷺ يعاني المرض في هذه السنوات الأخيرة، حتى إن الأطباء يقولون له: لو كان هذا المرض في

(١) الفناء هو: المتسع أمام الدار، ويجمع الفناء على أفنية كما في «النهاية»، وباللهجة العامية يسمى:

الحوش

غيرك لكان طريقًا على الفراش.

فإذا حانت صلاة الظهر تأهّب وخرج، فإذا صلى ألقى الدرس يومًا في "تفسير ابن كثير" ويومًا في "الجامع الصحيح" مما ليس في الصحيحين.

وبعد الانتهاء من الدرس يرجع إلى منزله ومعه الحراس والضيوف وبعض ذوي الحاجات، فإذا حانت صلاة العصر يخرج لأدائها وإلقاء درس في "صحيح البخاري" ثم بعد ذلك يخرج إما إلى الصحراء، أو المكان الذي يريده ومعه الضيوف وأصحاب ذوي الحاجات، إما أسئلة أو استشارة أو طلب شفاعة منه ونحو ذلك، ثم يرجع إلى منزله قرب الغروب، فيتأهب لصلاة المغرب، فإذا حانت صلاة المغرب خرج وصلى وألقى دروسه الثلاثة التي بين مغرب وعشاء وهي: "صحيح مسلم" و"مستدرك الحاكم" و"الجامع الصحيح في القدر" أما درس "صحيح مسلم" فيكون في ليلة فقط، والتي تليها يكون الدرس في "الصحيح المسند من دلائل النبوة".

وبعد صلاة العشاء يرجع إلى منزله، فأعرض عليه الإشكالات وأتحدث معه في بعض الأمور المهمة إذا كان عندي شيء من ذلك، وهذا الجلسة تعتبر خاصة بي إكرامًا منه ﷺ، واهتمامًا بتعليمي، وإلا فوقته أضيق من ثقب الإبرة، لهذا كان يعتذر مني إذا شُغل عن ذلك، ثم نأخذ أنا وصويحباتي من أهله ومحارمه الدرس الخاص عنده، ويتخلل هذا الدرس في بعض الأحيان فوائد ونوادر جانبية عن الدرس.

فإذا انتهينا يقول لنا أحيانًا -على سبيل الدعابة-: افرنقوا عني.

ثم يقوم بالمطالعة في الكتب التي يريدتها ويتناول وجبة العشاء تناولاً

خفيفًا.

فإذا نام يقوم قبيل طلوع الفجر لأداء صلاة الوتر، فإذا حانت صلاة الفجر خرج إلى المسجد بخطوات سريعة إذا كان مُعافًى، ويقوم أحيانًا بخدمة نفسه، فيغلق النافذة أو يأتي بكأس الماء ونحو ذلك، مع أننا نرغب جدًا في خدمته، ونتشرف بذلك، ولكنه يأبى إلا أن يخدم نفسه.

كما أنه يقوم بخدمة أهله، اقتداءً بالنبي ﷺ فإنه كان يكون في مهنة أهله، فإذا حانت الصلاة، خرج إليها.

وكان رحمه الله يسابق أهله في مكتبة النساء، وكان هو الذي يسبق قبل أن يزداد به المرض.

وهو في بيته في دعوة إلى الله، وأمرٍ بمعروف، ونهي عن منكر، وأذكر ذات مرة أنه كان عنده ضيوف، وكانت سفرة الطعام ممدودة، فدخل الضيوف فجلسوا في مكان بعيد عن السفرة فقربها إليهم ووضع الطعام، فقالت له واحدة منا: لماذا فعلتم هكذا، تقصد لماذا لم يقترب الضيوف من السفرة؟ فقال: ألا تسمعين قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾^(١).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٧.

وهذان سؤالان طُرِحَا عليَّ

أحدهما: كيفية اهتمامه بنا ونحن صغار؟

والثاني: طريقته في تعليم أهله.

أما السؤال الأول: فالوالد ﷺ لم يهملنا رغم شواغله الكثيفة، فمن ذلك أنه كان يهتم بنا جدًّا في تعليم القرآن، فكان يلقننا القرآن تلقينًا، ويسجل في شريط من أجل أن نتقن عليه، وذات مرة حفظت أختي، وكان الوالد ﷺ في المكتبة، فذهبت إليه ونادته أن يأتي ليسجل لها فأتي معها وترك البحث وسجل لها ثم رجع إلى مكتبته.

ولما بدأنا نفهم القراءة اشترى مصحفًا مسجلًا للشيخ الحصري، واشترى لكل واحدة منا مسجلة بدون راديو وقاية لنا من سماع الأغاني.

فلما عقلنا أكثر اشترى لكل واحدة مسجلة مع راديو وحذرنا غاية التحذير من الأغاني، والحمد لله لقد قَبِلْنَا ذلك، وما استمعنا للأغاني قط مع كره لها، وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه». متفق عليه عن أبي هريرة.

وكان يستمع لنا ما نحفظه، فَقرَأْنَا على يديه الخير الكثير، ويأمرنا بتوحيد المصحف بحيث نقرأ في طبعة معينة، ذلك لأنه يعين على الحفظ المتقن، ولو رأى في أيدينا طبعة مختلفة أسطرها يزجرنا ويغضب ﷺ رحمة واسعة.

وكان يوجد بين طلبة العلم بعض الإخوة من مصر والسودان معهم

نساؤهم، فكان منهن مَنْ يقمن بتعليمنا، وهو الذي يعطي لهن مرتبًا، اهتمامًا بتربيتنا خصوصًا، وببقية البنات عمومًا، واستمر ذلك إلى الصف الرابع حسب ما عند أهل المدارس، وكان إذا أتى بالكتب التي سندرس فيها عند المدرّسات يأمرنا جَدُّنا بضمس صور ذوات الأرواح كلها، ونحن نفعل ذلك مع بغض للصور.

ثم بعد ذلك دُرِّسنا علمًا شرعيًا -كتاب وسنة- فكنا نحفظ عن ظهر قلب عندهن، ونحفظ أحاديث فالحمد لله.

وكان يرقُّه علينا ويمزح معنا بما أباحه الله، بخلاف كثير من الناس اليوم إلا من رحم الله، فهم يرقُّهون عن أبناءهم بالتلفاز والأغاني والألاعيب الماحجة وغير ذلك من الشر والفساد، ونبينا محمد ﷺ يقول كما في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما: «كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته». ويقول عليه السلام: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية، ثم لم يُحطِّها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة». متفق عليه عن معقل بن يسار.

وكان ينهانا عن كثرة الخروج، ويُلْزِمنا ألا نخرج إلا بإذنٍ منه. فهذا خلاصة ما قام به الوالد جَدُّنا ونحن صغار.

وأما السؤال الثاني:

فبدء ذي بدء لقد كان جَدُّنا يهيمه جدًّا أن نتفقه في دين الله وأن نتزود من العلم الشرعي، لهذا فقد بذل لنا كل ما يعين على طلب العلم، ويجعلنا متفرغات له، أكرم الله مثوبته وأسكنه الفردوس الأعلى.

وكان جَدُّنا يجعل لنا وقتًا للتدريس، وفي اليوم الثاني يسأل عن ذلك

الدرس، وإذا كان الدرس قويًا يخفف أكثر مما لو كان الدرس خفيفًا. ومن الدروس التي درسناها في البيت خاصة «قطر الندى» مرتين و«شرح ابن عقيل» أيضًا مرتين، و«تدريب الراوي»، وكنا في «موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب» للشيخ خالد الأزهرى، ولكنه حال بيننا وبين إتمامه مرضه هذا الأخير، تغمد الله برحمته. كما أنه كان قد وعدنا بدرس في البلاغة، ولكنه حيل بيننا وبينه، فالله المستعان.

وكان يدرسنا وهو منبسط كعادته في الدروس، وهذا يمكّن الطالب من السؤال عما يشكل في الدرس، وكان جلوسنا معه عامرًا بالخير والمذاكرة والتوجيه، حتى على مائدة الطعام وعبر الهاتف^(١) وفي مرضه حتى إننا لنشفق عليه لحالته المتعبة، وهو يسألنا ويدخل علينا السرور، فالحمد لله. وكان ربما يغالط في إلقاء السؤال ليختبر فهمنا كما يفعل ذلك مع طلابه الرجال، وأحيانًا يُلقِي علينا أسئلة قوية، فقلت له ذات مرة: هذه أسئلة فوق مستوانا، فقال: صدقت وأنا أردت بها الإفادة ولكني صدّرتها بصيغة

(١) ففي ذات مرة وهو في السعودية قبل أن يخرج إلى ألمانيا قال لي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرددت عليه دون ذكر: وبركاته، فقال لي: لِمَ لَمْ تردي بالأفضل. إشارة منه إلى آية: ﴿وَإِذَا حُيِّمَ بِتَحِيَةٍ فَمِنْ بَعْثَةٍ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا﴾. ويركز جدًا على العبارات فإذا حصل لحن في النحو بعاتبنا برفق ويقول: ما نكون مثل أهل صعدة أحدهم يدرس النحو حتى يصل إلى «مغني اللبيب» وكلامه ككلام غيره من العوام. فقلت له ذات مرة في الهاتف: نحن الآن لا نجد من يبصّرنا بالأخطاء كما كنتم عندنا، فقال: ادعي لي. أسأل الله أن يرفع درجته في أعلى عليين وأن يجعلني وأختي من قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

سؤال.

قلت: وهذا له أصل في الشرع فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثاً: «هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: لا، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سار ساعة، فقال: «يا معاذ»، قلت: لبيك وسعديك، قال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك، أن لا يعذبهم».

والقاء الفائدة بصورة سؤال أدعى لوعي المسألة، وأبلغ مما لو أُلقيت بدونه، لأن الطالب يجمع فكره لما سُيلقى عليه.

وكان أحياناً يلقي على ربات الحجاب عموماً اللاتي يستمعن الدرس بعض الأسئلة ثم يُنظر الصواب من الإجابات وما هو ليس بصواب، ومن تلك الأسئلة إعراب: جاء عبد الله راكبين^(١).

وما معنى قولهم في (إذا): خافض لشرطه منصوب بجوابه^(٢).

ونعرض عليه الإشكالات التي في دروسنا وبحوثنا، وإذا لم نهضم البحث الذي نعرضه عليه إما يأمرنا أن نستمر فيه، أو يأتي معنا إلى

(١) (جاء) فعل ماضٍ، (عبداً) فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى، وهذه الألف تحذف لفظاً لا خطأً لالتقاء الساكنين، و(راكبين) حال.

(٢) معنى خافض لشرطه.. الخ بالمثال يتضح المقال، مثلاً إذا جاء زيد فأكرمه، ف(جاء) فعل الشرط في هذه الجملة، وفاعله في محل خفض بـ(إذا)، و(أكرمه) هو العامل في (إذا) الظرفية النصب، فكلمة (إذا) مبنية، وهي في محل نصب على الظرفية، والله أعلم.

مكتبتنا أيها النساء فيساعدنا، وهذا الأمر يجعلنا نحزن عليه جداً، وَاللَّهُ إذ من لنا بعد الوالد بمثل هذه المثابة:

من لي بسيرك المَدَلُّ تمشي رويدًا وتحجي في الأول^(١)

فإننا لله وإنا إليه راجعون، وأسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وكان يؤدبنا ويوجهنا بلطف ولين، ونحن بفضل الله لا مندوحة لنا في مخالفته، إذ ذلك في صالحنا وفي فلاحنا، فكلها دررٌ مرتبطة بالكتاب والسنة.

ومن عجيب أمره وَاللَّهُ أنه لا يتحجر في اجتهادنا وفي فهمنا الذي له وجهة نظر، فإذا فهمنا من مسألة خلاف ما فهمه فإنه لا يتحجر علينا. كعادته مع طلابه فكما هو معلوم أنه ما يتحجر عليهم في فهمهم الذي له وجهة نظر، وهذا تراه أيها القارئ عزيزاً قل أن تجده.

- يحذرنا من مجتمعاتنا لأنها ضالة، تسعى في الباطل، وفيما لا يجدي إلا من رحم الله منهم.
- يحذرنا من الكِبَر، ويكره المرأة التي تتكبر على زوجها ويقول: لا خير فيها.
- يحثنا على الزهد في هذه الدنيا الدنية.

(١) الدل: هو الهدى والسمت، عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة، واستقامة المنظر والهيئة. اهـ من «النهاية» لابن الأثير. ومرجع هذا البيت «مفتاح دار السعادة» (١/٣٠٢).

- يرشدنا إلى أن ننوي بمأكلنا ومشربنا التَّقْوَى على التقوى، حتى ننال الأجر من الله.

ويقول: لا تشغلن أنفسكن بتجهيز الأطعمة، ما تيسر أكلناه.

- يشجعنا، فليس من أولئك المثبطين لبناتهم وأهليهم، ويجعل مستوانا مستوى طبيّا كي نُسرَّ ونشمر في الجد والاجتهاد في تحصيل العلم النافع.

ومن كلامه لي: أرجو أن تكوني فقيهة. اللهم حقق رجاء والدي يا من لا يرجى سواه.

أما بالنسبة للتثبيط فإنه يأتي بالفتور واليأس وبما لا يحمد عقباه.

كما أنه ﷺ في حين آخر إذا وجد قصورًا منا في الإجابة يعاتبنا، وهذا من سياسته ﷺ فإن فيه وقاية لنا من العجب والغرور اللذين هما داءان مهلكان، سلمنا الله وأعاذنا من ذلك.

وذاث مرة قبل سنين تمنيت عنده أن أرى الجُمَّار فرأى بعض الناس يحفر في قطع نخلة من أصلها، فلما أخرجوا الجُمَّار من قلب النخلة أتى بواحدة إلى البيت وقال لي: هذا هو الجُمَّار.

وختامًا لهذا رأيت رؤيا للوالد ﷺ وذلك بعد موته، أنه هو وشيخ الإسلام ابن تيمية في مكان لا أستطيع أن أجزم بتسميته، وغالب ظني أنهم في المكتبة السفلى، وشيخ الإسلام واقف ولحيته بيضاء جميلة تكاد تملأ صدره، والوالد ﷺ في غاية من الجمال والقوة، أسكنهما الله الفردوس الأعلى.

مع النصائح^(١) والتوجيهات

من نصائحه وتوجيهاته:

﴿١٨﴾ ينصح كثيرًا بالاهتمام بالعقيدة، فقد قال: الاهتمام بشأن العقيدة أمر مهم جدًا. فالمسلم بدون عقيدة لا يستطيع أن يثبت أمام أعدائه، ولا أن يتصرف تصرفًا إسلاميًا، فن أجل هذا نبينا محمد ﷺ بدأ بالعقيدة وحياته كلها دعوة إلى العقيدة والأحكام متخللة لذلك والأعمال.

﴿٢٨﴾ ينصح بالاهتمام بالدعوة إلى التوحيد فقد قال: لأنهم إذا أحبوا التوحيد وعرفوه فهم مستسلمون لما سواه، فإذا هم تخلصوا من الشرك فهم لغيره أشد تخلصًا.

﴿٣٨﴾ يوصي بالاستقامة فيقول: لو استقمنا لنصرنا، فقد وعدنا الله بالنصر. قال تعالى: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقْوَاهُمْ﴾^(٣).

وأنت يا طالب العلم من أحق الناس بالاستقامة، حتى لا تطمس بصيرتك: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤).

(١) هذه النصائح كان يلقيها الوالد رحمه الله أثناء دروسه، ولأهميتها إذ هي تستحق أن تكتب بماء الذهب وماء العيون. كنت أكتبها، وبعضها كانت ضمن أجوبة على أسئلة تُلقى عليه.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) سورة محمد، الآية: ٧.

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا ۚ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١).

يبحث على الاهتمام بالعلم والتعليم. وعند أن مرر معنا ذات مرة سند فيه الزهري وقف عنده وقفة، فقال: قال الزهري رحمه الله في العلم: لا يحبه إلا ذكور الرجال، ولا يبغضه إلا إناثهم، وكان رحمه الله لا يأكل الفواكه لكي لا يضعف حفظه، ويقول: من أراد العلم جملة فاته كله. اهـ.

فقال معلقاً على كلام الزهري: صدق حيث يقول: من أراد العلم جملة فاته كله، لأنه من أراد أن يحصل له العلم في عشرة أيام أو شهر أو سنة، ثم يحصل له سامة لا يستفيد شيئاً.

فطالب العلم يجب عليه أن يوطن نفسه لطلب العلم فإن لم يفهم اليوم فسيفهم غداً، أو بعد غدٍ إن شاء الله.

فاجتهدوا^(٢) قبل أن تأتكم الصوارف، فإنه لا يدري الإنسان متى يأتيه شاغل يشغله عن طلب العلم.

يبحث بالصبر على المدعوين، قال: فإن منهم الجاهل، ومنهم المعاند، ومنهم الحاسد، ومنهم الفاسق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

(٢) هذا الكلام قد قال عنه النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا».

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾.

فَعَلَّمَ السُّنَّةَ حَتَّى يَسِرَ اللَّهُ لَكَ بِأَنْصَارٍ: ﴿فَأَصِيرَ صَبْرًا جَمِيلًا﴾.

وعند أن مر معنا حديث أبي هريرة في "صحيح مسلم" قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله فمن خلق الله؟» قال: فيينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب فقالوا: يا أبا هريرة هذا الله فمن خلق الله؟ فأخذ حصي بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا، صدق خليلي. اهـ

قال معلقاً على الحديث: الأعراب ينبغي أن يُرفَقَ بهم، ولا يُغلَظَ عليهم، بل يُعلِّمون.

كما أنه يوصي بالتيشير على الناس، وعدم التنفير عن دين الله. فيقول: ينبغي لطالب العلم أن يسر، وليس معناه أنه مفوّض في دين الله، ولكن إذا وجد رخصة يفرح بها للمسلمين، كما قال سفيان الثوري: إنما العالم الذي يسر للناس. وأما التشديد والتعسير فكل يحسنه.

وهكذا الأمور العادية ينبغي أن يربط الناس بالكتاب والسنة، ولا يجعلها أكبر همهم ويحبب إلى الناس الكتاب والسنة، وإذا أحبوا ذلك استسلموا وابتعدوا عن المحظورات، ويُخشَى على المتشدد أن ينفر الناس عن دين الله فيحمل شيئاً من الإثم، فالنبي ﷺ يقول: «يسّروا ولا تعسّروا».

(١) سورة القصص، الآية: ٥٥.

ويقول عليه السلام: «بعثت بالحنيفية السمحة».

ولهذا رحمته عند أن يتكلم في مسألة الهجر للمسلم يقول: لا بد أن تنظر هل هجرك يسبب هدايته أم أنت مهجرك إياه ستريده عتوًا ونفورًا، وربما يلتحق بالاشتراكيين أو البعثيين أو المكارمة، أو غيرهم من ذوي الزيغ والضلال، وهل هذا الذي ستهجره لا يبالي بذلك؟.

وقد تجاوز بعض الناس في حد الهجر، فلا بد من النظر هل فيه مصلحة للشخص وللإسلام.

ولما كانت الغربة عن الوطن عزيزة على النفس، تراه يُصبر الطلاب، ويذكر لهم فوائدها.

فمن كلامه: الغربة عن الوطن تخرج رجالاً، فالنبي عليه السلام تغرب وكذلك أصحابه.

وقد قال بعض العلماء: العلم غريب.

والرحلة فيها خير وبركة، والشيء الذي يحصل بتعب يكون الشخص حريصاً عليه، ولكن الذي يكون موافقة ربما لا يحرص عليه، إلا إذا كان كالإمام الشوكاني لم يرحل بسبب والديه^(١)، ولكنه رحمته سمع من علماء اليمن، ونفع الله به.

ونحن الآن في زمن الغربة، وربما يسخر الأب بابنه فما أكثر المستضعفين وما أكثر المظلومين.

(١) الإمام الشوكاني رحمته ترجم لنفسه في «البدر الطالع» المجلد الثاني، وذكر أسباباً منعه عن الرحلة، منها هذا الذي ذكره الوالد رحمته. منع والديه له عن الرحلة.

يوصي طلابه بالوثوق بمدرسيهم، حتى يستفيدوا منهم. اهـ
قلت: وهذا شأن المخلصين أنهم يريدون من المجتمع الاستفادة ممن
كان أهلاً لذلك.

وهذا عبدالله بن المبارك يقول:

أيتها الطالب علماً	أنت حماد بن زيد
فاطلبنَّ العلم منه	ثم قيَّده بقيد
لا كجهم وكثور	وكعمرو بن عبيد

وقال بعضهم:

من كان ملتصقاً جليساً صالحاً	فليأت حلقة مسعر بن كدام
فيها السكينة والوقار وأهلها	أهل العفاف وعلية الأقبام ^(١)

يحذر من العصبية الباطلة، حتى ولو كان لأقرب قريب
ويقول عن حديث ابن مسعود: «ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب
ودعى بدعوى الجاهلية»، إنه يشمل التعصب الجاهلي والحزبي والمذهبي.
فالسنة لا تفرق، فليس عندنا تفرقة، ولكنها النعرات الجاهلية التي
تفرق.

أما ما قاله الرسول ﷺ: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب»،
فلا بأس إذا لم يكن هناك احتقار للآخرين.

(١) اختلف في نسبة هذين البيتين فبعضهم عزاهما لعبدالله بن المبارك، وهو الذهبي في "السير"
(١٧٠/٧) وبعضهم عزاهما لغيره.

﴿١١﴾ يحذر من الحزبية المقيتة، والبدع النتنة، ومجالسة أهلها فيقول رحمه الله: إن التعاون مع أهل البدع هو الذي مَيَّع الدعوة، وهو الذي جعل أفغانستان مجزرة المسلمين بسبب أنهم كانوا خليطاً، فهذا حزبي، وهذا صوفي، وهذا إخواني، فلا بد من تميز وابتعاد عن كل مبتدع، فالذي ننصح به هو الابتعاد عنهم فهم من ذوي الزيغ كما قال أبوقلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء والبدع، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

وقد رأيت أن الذي يقصم ظهور المبتدعة أمرين: الأمر الأول: الجرح والتعديل.

الأمر الثاني: التمييز. أي: الانفصال عنهم، فلا يجالسون ولا يحضر محاضراتهم.

وكان تسجيل هذه الفائدة والنصيحة يوم الجمعة (٥/٣/١٤٢٠هـ)

﴿١٢﴾ يوصي بعدم التقليد في الدين عمومًا، وعن تقليده خصوصًا فيقول: إياكم وتقليدي فمن أنا حتى تقلدوني، ولو كنا مقلدين لقلدنا أحمد بن حنبل، بل لقلدنا أبا بكر الصديق. ويقول: لا يقلدني إلا ساقط.

وقد أجمع العلماء على أن المقلد ليس من أهل العلم، قاله ابن عبد البر. وقال ابن حزم: مثل المقلد كمثّل رجل في ليلة مظلمة فأعطي مصباحًا وقال: أنا لا أحتاج إلى مصباح فأطفأ المصباح وبقي يتخبط. فهذا أعطاه الله نورًا ثم بعد ذلك يقول: أنا أقلد.

فينبغي لطالب العلم أن يكون أحسن من الصيرفي، فالصيرفي يعد فلوسه وهو ينظر إلى شيء آخر، ويعرف الزيف من غيره. فهكذا طالب العلم ينبغي أن يكون بصيرًا، يعرف الحق من الباطل والزيف من غيره.

وأعظم داء دخل على المسلمين التقليد. اهـ
وقد أصغى طلابه لهذه النصيحة، فخاب وخسر من قال إن طلبته يقلدونه، فلو تسمع ضجيجهم وإصدار تنبيهاتهم الموالد ﷺ إذا سمعوا منه ما لم تستسغه أفهامهم. أَبْعَدُ هذا يقال: إنهم يقلدونه، تالله إنها لمكبرة: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، وكم مسألة فهموا منها خلاف ما فهمه.
﴿١٣﴾ يوصي بتثبيت الأمن وعدم إثارة الناس على الحكام الظلمة، وأنه إذا وجد كفر بواح فلا بد من توافر أمور:
(أ) أن يكون لدى المسلمين كفاءة وقدرة.

(ب) ألا ترجع الدائرة والمعركة بين المسلمين، فيبقى في مقره والمسلمون يتقاتلون.

(ج) أن يكون لديهم استغناء ذاتي فلا يمدون أيديهم إلى أمريكا ولا إلى غيرها من الدول الكافرة، ولا يركنوا أيضًا إلى بعض حكام الدول الإسلامية فإنهم خونة، فلو قيل لهم: لا تساعدوا لفعّلوا.

﴿١٤﴾ ينصح بالحرص على سمعة الإسلام.

ومن كلامه في هذا الميدان: بلاد الكفر حربية في هذا الزمن، لأنهم مـ يُؤدّون الجزية، ولا يجوز أخذ مالهم، ففيه إساءة للإسلام فهم يظنون أن

الإسلام دين خداع وسرقة وخيانة.

والذين يتأخرون عن الإسلام بسبب هذا قالوا: أنتم تسرَقون، وتكذبون، وتخونون، وأنتم تَعُدُّون وتُخلفون.

ولكن يقال: الإسلام بريء من هذا، وإذا وُجِدَ في المسلمين من هذا حاله، فهم مسيئون إلى أنفسهم.

﴿١٥﴾ بين أسباب نيل العلم النافع فقال ﷻ:

أعظم السبل التي ينال بها العلم النافع:

١- التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾^(٢).

٢- الإخلاص، فإن الذي لا يخلص لا يستطيع أن يستمر على ما هو عليه، فيأتيه الكسل والملل والفتور، والله عز وجل يقول: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٣).

وفي «الصحيحين» عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سَمِعَ الله به، ومن رأى رأى الله به».

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

والسبيل إلى تحقيق الإخلاص أمور:

أولها: الإيمان بالقدر.

ثانيها: النظر إلى ضعف الشخص وعجزه، فهو لا يستطيع أن يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً، فضلاً عن أن يملك ذلك لغيره.

ثالثها: الزهد في الدنيا.

٣- التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١)، وتفويض الأمور إلى الله، فمثلاً التفويض من حيث البناء والزواج قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

ومجتمعنا الذي نعيش فيه لا يساعد على الخير، فأهلك يثبطونك، وكذلك امرأتك، وكذلك أبوك فإذا علمت ذلك فننصحك ألا تضيع وقتك، وأن تحرص على ما ينفعك، كما قال النبي ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن».

وكما قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع، ومنها: عن عمره فيما أفناه».

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) سورة هود، الآية: ٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.

٤- مجالسة طلبة العلم الحريصين على أوقاتهم، وأن تذاكر وتحرص على تقييد الفوائد والنوادر، وإياك والتقليد، فإن التقليد ضلال وعمى.

٥- البعد عن المشاكل.

٦- الأشياء الحلوة والتي طبيعتها الحرارة مثل: التمر، الزبيب، العسل، الزنجبيل، اللبان المر بشرط عدم الإكثار منها، فإن الإكثار من الزنجبيل يحرق الدم وتنقلب موسوسًا، ومثله اللبان المر.

٧- المحافظة على مزاجك وصحتك، فربما يبتلى الشخص بمرض الصدر وينسى حفظ القرآن، فيهتم بالمأكل والمشرب والنظافة في حدود ما تيسر، والله يجعل أطاقًا، وطالب العلم الله يلطف به، وقد كان من علمائنا من يمتنع عن بعض المأكولات كالزهري ومحمد بن القاسم الأنباري مثل التفاح والأشياء التي طبيعتها الحموضة والبرودة.

٨- قيام الليل.

﴿١٦﴾ يحذّر من مجالسة أهل السوء وقرنائهم، ويقول: إن لهم تأثيرًا كبيرًا على الشخص، كما قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٥﴾ يَقُولُ أَهِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٦﴾ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٧﴾ قَالَ هَلْ أُنتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَطْلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْحَجِيمِ ﴿٥٩﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٦١﴾^(١)

(١) سورة الصافات، الآية: ٥٠-٥٧.

وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً منتنة».

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحداً من يخال».

والشاعر يقول:

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتزدى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
ويقول: الدش والفيديو والتلفاز جلساء سوء.

﴿١٧﴾ يحذر من الاختلاط، ويقول: إن الاختلاط في المدارس
إساءة إلى التعليم.

﴿١٨﴾ بحث على الحياء، ويقول: الحياء خلق فاضل، والذي
يستحي يترك كثيراً من المنكرات، «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

﴿١٩﴾ بحث على الرفق بالنساء لضعفهن واعوجاجهن وسرعة
ميلانهن، كما قال النبي ﷺ: «رفقاً بالقوارير» متفق عليه عن أنس.
وقد كان النبي ﷺ خير الناس لأهله فهو القائل: «خيركم خيركم
لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

كما أنه بحث على تعليمهن، لأن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿١﴾.

وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (٢).

وقال تعالى مادحاً لإسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٣).

وبتعليم المرأة يحصل الخير الكثير من التعاون في التعليم، فتقوم بتعليم أبنائها وتعليم أسرتها، وتسد فراغاً في أوساط النساء، وتقوم بجانب طيب في إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين بنات جنسها أو بواسطة تأليف.

وفرّق شاسع، وبون كبير بين المرأة الجاهلة والمرأة المتعلمة:

سارت مشرقة وسرت مُعَرَّبًا شتان بين مشرقٍ ومغربٍ

فالمرأة المتعلمة التقية تحرص على تكوين أسرة مستقيمة، والمرأة الجاهلة تبث أفكار الرعاع والعوام في البيت، وتهدم ما يقوم به زوجها الصالح من التربية والإصلاح، وهذا فضلاً عن الشقاق بينها وبين زوجها الذي يحصل بسبب أنها تريد مجارة مجتمعها، ولا تقف عند حدود الله.

وينصح إعانة المرأة على الخير وطلب العلم، بحيث يهيا لها ما يعينها على طلب العلم، وبأخذ الأب أبناءه الكبار معه.

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٥.

﴿٢١﴾ ينصح بغض البصر، فقد قال عند أن سئل: هل النظر إلى المرأة الأجنبية كبيرة أو صغيرة؟ فأجاب: هو صغيرة من الصغائر لقول ابن عباس: ما رأيت شيئاً أشبه من اللمم مما قاله أبوهريرة عن النبي ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِييهِ مِنَ الزَّنا مَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزَنَا الْعَيْنَ النَّظْرَ، وَزَنَا اللِّسَانَ النَّطْقَ» الحديث.

والذي يجب عليه أن يغض طرفه، فإنه ربما يفتن، والسلامة لا يعادلها شيء، وهو من المعاصي، والمعاصي كلها فسق، والفسق هو الخروج، ومن هذا سُمِّيَ الخارج عن الطاعة فاسقًا.

﴿٢٢﴾ ينهى عن النسبة إلى وهابي ونص كلامه:

لا يجوز لأحد أن يقول لنفسه: أنا وهابي، لأنه نسبة إلى الشخص، أما السنة فإنها نسبة إلى سنة رسول الله ﷺ.

وهكذا السلفية، فهي نسبة إلى السلف الصالح، أي: ما عليه السلف من اتباع الكتاب والسنة.

مرضه ووفاته ﷺ

لقد كان عنده ﷺ تجلّدٌ عجيبٌ في المرض والمتاعب، فتجده ذا أخلاق سامية وهو مريض، ويُدرّس ويذاكر وهو مريض والبشاشة على وجهه، فالذي يراه يظن أنه ليس بمريض، وهذا حق والله ليس بمبالغة. وإذا سئل عن حاله وبه المرض يقول: الحمد لله لا نحصي ثناءً على الله. ولقد قال غير واحد من الأطباء: إن مرضه لو كان في واحدٍ آخر لكان طريقاً على الفراش.

فأقول: إن ما كان يقوم به الوالد ﷺ من التزود من الخيرات ومن العلم النافع في مرضه ليعُدُّ بركة إلهية. كما أن الأطباء يحذرونه من كثرة الكلام والإرهاق، ولا يؤدي مطلوبهم في ذلك.

لقد كان السبب في وفاته مرض في الكبد، وقد كان مرضه هذا خفيفاً، فلم ينشغل به عن مواصلة السير الحثيث في طلب العلم وعن إلقاء الدروس، حتى كان في شهر ربيع أول سنة ١٤٢١ هـ مرضاً مرضاً آخر، فأُمر من قبل بعض الأطباء في مستشفى السلام بصعدة إلى الخروج إلى صنعاء فوراً، نظراً لحالته الخطرة فإنه كان ينزف دمًا، فخرجوا في آخر ليلة من الليالي، وعندما وصلوا إلى صنعاء تم الاتصال باللواء محمد عبدالله صالح ﷺ الذي أمر بإدخاله مستشفى الثورة وتكفل بنفقات العلاج، فبقي في مستشفى الثورة بصنعاء، فبرأ بفضل الله من ذلك المرض الذي

خرج لأجله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾^(١) ولقد كان خروجه الى صنعاء فيه خير كثير، فقد رجع إلى الله بعض الناس من ذوي المعاصي، وانتشر خير كثير، ولا تسأل عن كثرة العائدين له، فقد عاده جم غفير من المسئولين الكبار، ومن مشايخ القبائل، ومن المحبين والكارهين حتى من النساء أيضًا.^(٢)

وكان يذاكر العائدين بل ويلقي المحاضرات في الممرات الخاصة بالمستشفى لكثرة الناس، مع ما يعانيه من المرض، ويوصي بالأعاجم خيرًا.

ونُصح بالخروج إلى الخارج، وذلك بعد أن مكث مدة اثني عشر يومًا هي الفترة التي قضاه في مستشفى الثورة بصنعاء، فاختار رحمه الله الذهاب إلى السعودية بسبب مرض الكبد، فسافر إليها فوصل الرياض، واستقبل من قبل وزارة الداخلية جزاهم الله خيرًا، فكان في ضيافة الوزارة، وزاره جم غفير من العلماء وطلبة العلم، كما ذهب لزيارة سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله، ثم أدخل إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي وهو من أفضل المستشفيات في المملكة، فبقي فيه أسبوعًا، وبعد إجراء الفحوصات الطبية الكاملة تم إخبار بعض مرافقيه بأن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) كان هذا بوجود إحدى زوجاته، فقد كانت إذا عادت في مستشفى الثورة يأتي النساء في الوقت المحدد هن، وهذا لا بأس به، إذا أمنت الفتنة لعموم الأدلة الواردة في فضل عيادة المريض، ولا ريب أن النبي ﷺ عاد أم السائب فقال: «ما لك يا أم السائب، أو يا أم السائب تزفزين» قالت: الحمى لا يبارك الله فيها، فقال: «لا تسي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد».

عنده تليقًا في الكبد وورمًا، ولا بد من إجراء زراعة كبد، وبعد خروجه من المستشفى طلب أن يذهب لأداء مناسك العمرة، وبعد الانتهاء من العمرة بقي في مدينة جدة أسبوعًا، طلب خلالها مقابلة سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز حفظه الله، فأخبره الوالد بمرضه وأنه لا بد من خروجه إلى الخارج، فقال الأمير: اختر أي دولة، ونحن على استعداد لتحمل كل التكاليف، فقال الوالد ﷺ: بل اختر أنت، فقال الأمير: الولايات المتحدة الأمريكية متقدمة في هذا المجال وخصوصًا زراعة الكبد، فوافق الوالد، وقال: أنتم أعلم بهذا، ثم طلب منه الوالد البقاء في مكة حتى تتم إجراءات السفر، فوافق الأمير، وأمر له بسكن قريب من الحرم، وعندما جاء الوقت المحدد للسفر وهو يوم الخميس (٢٣/ جمادى الآخرة/ ١٤٢١هـ) وكانت المسافة من السعودية إلى أمريكا تقدر بثلاث عشرة ساعة طيران، فزلوا مطار نيويورك، ثم واصلوا الرحلة بالطائرة أيضًا إلى مدينة تسمى لوس أنجلوس تقع في غرب أمريكا، فأقام عدة أيام في هذه المدينة، ثم جاءه إخوان من المغتربين اليمنيين من الشَّعْر^(١) فطلبوا منه أن يذهب معهم إلى المدينة التي يقيمون فيها حيث إنها قليلة الفتن، وكان موعد دخوله إلى المستشفى بعد عشرة أيام، أقام خلالها دعوة إلى الله عظيمة، وكان يقوم بخطبتي الجمعة في بعض الأسابيع والصلاة بهم والأذان للصلوات، ويتولى الإجابة عن أسئلة الوافدين، وعن الأسئلة التي تلقى عليه عبر الهاتف من عدة دول، وخلال هذه المدة ذهب بعض الإخوة

(١) وهي إحدى مديريات محافظة إب في اليمن.

بالوالد إلى إحدى المستشفيات الخاصة بالسمع نظرًا لكونه يعاني من نقص واضح في السمع منذ مدة طويلة، وبعد إجراء الفحص أعطي سماعات. والحمد لله.

ثم رجع رحمه الله إلى مدينة لوس أنجلوس، لقرب الموعد، وفي يوم الاثنين (٥/ رجب/ ١٤٢١هـ) دخل المستشفى، وهو من أرقى المستشفيات في أمريكا، ويملكه اليهود الأثرياء، فأجرى رحمه الله كافة الفحوصات خلال عشرة أيام، وقرروا زراعة الكبد، وأن الوالد مؤهل للزراعة وسجلوه في قائمة الانتظار، بعد عملية منظار وربط للدوالي، والتي كانت السبب في مرضه وخروجه من اليمن.

ثم جلسوا عند بعض الإخوة من أصحاب الشعر، وألقى محاضرة عبر الهاتف إلى كل من دماج وصنعاء ومأرب في يوم الخميس (٢١/ رجب/ ١٤٢١هـ) وكان الوقت في أمريكا الساعة الثامنة صباحًا، والوقت في اليمن بين مغرب وعشاء، وكان يلقي أسئلة على الطلاب وشر كثيرًا بأحوال الطلاب والدعوة في اليمن.

وكذلك ألقى محاضرة عبر الهاتف إلى بريطانيا. وإلى مناطق من أمريكا، تنشر في الإنترنت، جزاه الله خيرًا، وأجزل له الأجر والمثوبة.

وفي يوم الثلاثاء (٣/ شعبان/ ١٤٢١هـ) أُعطي موعدًا في المستشفى الجامعي، وهو أيضًا مستشفى فخم للمقابلة مع طبيب يهودي، وهو من أكبر الأطباء وله السيادة والقيادة في هذا المستشفى وتكلم مع الوالد حول العلاج الكيماوي وأنه يسبب تساقط الشعر، فرفض العلاج الكيماوي، واختار الكي.

فكان موعد الكي في (١٥/رمضان/١٤٢١هـ) وكان ﷺ صائماً لأجل عملية الكي للكبد واستئصال الورم، فخرج بعد ثلاث ساعات، وكان قبل الدخول في صالة الانتظار، وفيها من الفساد ما الله به عليم، حتى إنه قال: قد حاولنا أنهم يعالجونا في مستشفى الثورة، فقالوا: لا نستطيع، ثم ألحنا على أصحاب مستشفى الرياض فقالوا: ما يستطيعون لأن الكبد لا تأتيهم إلا من أمريكا، وأظن والله أعلم أنها ذنوبنا التي أتت بنا إلى هذه البلاد الظالمية أهلها، لأننا نتوقع متى ينزل بهم العذاب من كثرة فسادهم وذنوبهم، وجعل يتمثل بهذا البيت:

الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم إذ لا تحبونا

ويقول: لعله يطلع في رأسي ثلاث شيب في الليلة الواحدة من طولها، أي: في أمريكا.

وبعد خروجه من غرفة العمليات وذهاب المخدر عنه تمثل بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثريا عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر

فقال: إن هذا البيت تمثلت به عائشة، فقال بعض من كان حاضراً عنده: وجاءت سكرة الموت بالحق.

مكث في هذا المستشفى خمسة أيام، وكانت العملية ناجحة، وأثناء مكثه ﷺ في المستشفى سكنت امرأة في نفس الغرفة التي مكث فيها في الفندق، فأخبرهم رجل يقال له أبوجبريل أنها شكت إلى إدارة الفندق بأنهم أزعجوها بالإتصالات، قدر عشرة إتصالات كما أخبرني بذلك زوجي أبوإبراهيم صالح بن قائد.

ثم عاد إلى السعودية في آخر شهر شوال بناء على طلبه لتأدية مناسك الحج والعمرة، فأتم الله له الحج والعمرة، وله موعد للرجوع إلى أمريكا، ولم يُكتب له ذلك، وكان الوالد رحمه الله يدعو كثيرًا أن لا يرده الله إلى أمريكا، وأن يغنيه عنها، فاستجاب الله دعوته بعد محاولة شديدة من وزارة الداخلية، وكان يقول: للموت أحب إليّ من الرجوع إلى أمريكا، فَعُرض عليه أن يختار دولة أخرى، فاختار ألمانيا، لتقدمها في الطب، وكانت المدة التي مكثه فيها في السعودية خمسة أشهر ونزر.

وكانت صحته في الفترة الأخيرة قد تدهورت، بسبب صيامه وامتناعه عن الأكل واقتصاره على ماء زمزم بسبب نصيحة أحد الأطباء^(١)، حتى إنهم سحبوا منه الماء عدة مرات، فلما رأى الأطباء في مستشفى الملك فيصل التخصصي في جدة تدهور حالته أمرؤا باستعجال سفره إلى الخارج، ولما تعذر سفره إلى أمريكا مرة ثانية، تم اختيار ألمانيا، فكان خروجه في ليلة الخميس (٧/ربيع الثاني/١٤٢٢هـ) وكانت المسافة من جدة بالسعودية إلى مدينة في ألمانيا تسمى فرانكفورت تقدر بسبع ساعات، ثم استقلوا سيارة إلى بون العاصمة الألمانية وكان وزنه قد ازداد، بسبب الاستسقاء وكثرة الماء، فاتصلوا بالملحق العسكري التابع للسفارة السعودية في بون فجاءوا بالإسعاف، وأدخل في مستشفى الجامعة في بون في قسم العناية المركزة، فأجروا له الفحوصات اللازمة وسُحب منه الماء.

فلما كان يوم السبت (١٦/ربيع الثاني/١٤٢٢هـ) جاء البروفيسور وهو

(١) عامله الله بما يستحق إن كان تعمّد ذلك.

من أكبر الأطباء في المستشفى هو وطاقه وهو الذي طلب الفحوصات فقال: حسب الفحوصات فإن الشيخ ليس مؤهلاً للزراعة، فإن عنده ورمًا كبيرًا في الكبد، كما أن الكلى بدأت تضعف ولا تقوم بعملها على أكمل وجه، وأن صحته ستسوء خلال هذا الأسبوع، وأنصحكم بتعجيل سفره إلى بلده.

فأتصلوا بالسفارة السعودية هناك فقالوا: يلزمكم تأشيرة دخول إلى الأراضي السعودية، فأرسلت الجوازات إلى السفارة ومنحوا التأشيرة، وكان أكثر وقته بين اليقظة والنوم.

ومما حدث في ألمانيا أنه أخفى الولاية التي مكث فيها، ومع ذلك علم به في أيامه الأخيرة، حيث وأهل السنة والمحبون له هناك بحثوا عنه، حتى طافوا بأغلب المستشفيات العالمية المشهورة، فالتقوا به بعد تعب ومشقة، حتى إن بعضهم يقول: إنه دخل اثنتي عشرة مستشفى.

وأناه الزائرون من أكثر أوروبا.

وكان من لطفه وتواضعه أنه يسأل بعض الإخوان عن حاله، ومن ذلك أن أحمًا مغربيًا حصل خصام بينه وبين زوجته ولم يبق إلا الفراق، فقال له: كن ليئلاً في هذا البلد، ثم نصح زوجته عبر الهاتف فرجعت بعد محاولة شديدة إليه من الغد.

وكان يذاكر مجالسيه كعادته وأمر بعض رفقائه أن يقرأ عليه كتاب

الأذكار والدعوات من «رياض الصالحين» لا للرقية^(١)، وإنما لتذكيره بهذه الأحاديث، مما اشتملت عليه من الذكر والخير.*
وأمر بعض رفقاءه أن يذكره بحديث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل».

وكان يكثر في هذه الأيام الأخيرة من دعاء: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفي إذا كانت الوفاة خيراً لي».
وهناك كتب وصيته لأهله خاصة، ولطلابه وأقربائه وقبيلته وأهل السنة عامة، وإليك نص الوصية العامة:

بسم الله الرحمن الرحيم

مقبل بن هادي الوادعي

التاريخ ٢٠/ربيع الثاني/١٤٢٢هـ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك (له) وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله.

أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا
تُؤَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ دُحِجَ عَنِ الشَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ

(١) كان رحمه الله لا يرغب أن يرقيه أحد، لأن الأفضل عدم ذلك لحديث ابن عباس في «الصححين»
الذي فيه: أن من أوصاف السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أنهم لا
يسرقون.

فَارْزُقُوا مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ^(١). ويقول سبحانه وتعالى:
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^(٢)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(٣)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٤)، وروى الترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن أبي عزة يسار عن النبي ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ قَبْضَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً»، هذا الحديث كثيراً ما أقرؤه على إخواننا في رحلاتنا فإننا لا نستغرب أن يغدر بنا الأعداء فإن دعوة واجهت الباطل متوقع أن يغدر بها أصحاب الباطل، ولعله قد قدر الله أن أموت على فراشي وكنت أرغب أن يختم لي بالشهادة مع الدعوة، والحمد لله على ما قدر الله، على أنه قد قال غير واحدٍ من العلماء أن الردَّ على أهل البدع بمنزلة الجهاد في سبيل الله بل أفضل من الجهاد في سبيل الله، ولكن أسأل الله أن يرزقني الإخلاص فيما بقي من العمر.

وبعد هذا فأوصي أقربائي جميعاً بالصبر والاحتساب، وليعلموا أن الله لن يضيعهم وعليهم بما علم النبي ﷺ أم سلمة أن تقول: «اللَّهُمَّ ابدلني زوجاً خيراً من أبي سلمة» الحديث.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

كما أني أوصي الأقرباء حفظهم الله ووفقهم لكل خير بأخينا الشيخ أحمد الوصابي خيرًا وألاً يصدقوا فيه، وأوصيهم بالشيخ الفاضل يحيى بن علي الحجوري خيرًا وألاً يرضوا بنزوله عن الكرسي فهو ناصح أمين، وكذا بسائر الطلاب الحراس الأفاضل وبقية الطلاب الغرباء؛ فهم صابرون على أمور شديدة يعلمها الله من أجل طلب العلم فأحسنوا إليهم فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١)، والغريب يتألم من أي كلمة لا سيما وبعضهم أتى من بلده متنعمًا فارفقوا بهم حفظكم الله.

وإياكم أن تختلفوا، دعوا الأمر في مسألة الطرد لأحمد الوصابي والشيخ يحيى والحراس.

وأوصي قبيلتي وادعة أعزهم الله بطاعته أن يحافظوا على دار الحديث فإنه يعتبر عزًا لهم، وقد قاموا بنصرة الدعوة في بدء أمرها فجزاهم الله خيرًا.

وأوصي إخواني في الله أهل السنة بالإقبال على العلم النافع والصدق مع الله والإخلاص، وإذا نزلت بهم نازلة اجتمع لها أولو الحل والعقد: كالشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ أبي الحسن المأربي، والشيخ محمد الإمام، والشيخ عبدالعزيز البرعي، والشيخ عبدالله بن عثمان، والشيخ يحيى الحجوري، والشيخ عبدالرحمن العدني، وأنصحهم أن يستشيروا في قضاياهم الشيخ الفاضل الواعظ الحكيم الشيخ محمد الصوملي فإنني كنت أستشيريه ويشير عليَّ بالرشد.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وأطلب من جميع من ذكر ومن سائر أهل السنة المسامحة، خصوصًا
 طلبة العلم بدماج، فإني ربما آثرت بعض المجتهدين، ولكن لا عن هوى.
 واعلموا حفظكم الله أني خرجت إلى اليمن لا أملك شيئًا، فعلى هذا
 فالسيارات ومكائن الآبار لمصلحة طلبة العلم تحت نظر الشيخ أحمد الوصابي
 والشيخ يحيى الحجوري، والإخوة الحراس ينفذ أمرهم إن لم يختلفوا.
 هذا وأسأل (الله) أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا
 والآخرة، وأن يعيدنا وإياكم من فتنة المحيا والممات، إنه على كل شيء
 قدير.

مقبل بن هادي الوادعي

شهد على ذلك:

عبدالله بن صالح بن أحمد الوادعي

صالح بن قايد الوادعي

أبوحاتم عبدالله بن علي الفاضلي

وأوصى رحمه الله أن يدفن في مقبرة العدل عند شيخه ابن باز، وشيخه
 عبدالله بن حميد، والشيخ ابن عثيمين رحمهم الله جميعًا.

وبعد تعب ومشقة تم ترحيله إلى السعودية وكانت قد بدأت تظهر عليه
 بوادر الغيبوبة، فأعطي مقعدًا في الدرجة الأولى، فوصل إلى جدة، ونقل
 بالإسعاف إلى مستشفى الملك فيصل في قسم الطوارئ، ثم إلى قسم
 التنويم، وفي صباح يوم الأربعاء (٢٦/٤/١٤٢٢هـ) دخل في الغيبوبة،

فجاء الطبيب المشرف على علاج الوالد سابقاً وقال: إن حالته سيئة للغاية، فالكبد متليفة، والكلى لم يعد يعمل بسبب الكبد، ولم يعد بوسعنا عمل أي شيء. وقال: إن هذه الحالة لن تستمر طويلاً، فاصبروا واحتسبوا.

وكان الشيخ ربيع المدخلي حفظه الله قد جاء من مكة، وكذلك بعض المشايخ وطلبة العلم، حتى كأن الشيخ ربيع لم يصب بمصيبة قبلها ويقول: ياليتني كنت مكانه، لأن نفعه للناس أكثر مني. وكان يبيت أكثر الليالي بجدة أثناء دخول الوالد في الغيبوبة.

وفي حالة الاحتضار لقنه الشيخ عبدالعزيز الجهنّي -حفظه الله- الشهادة في أذنه، فحرك لسانه بالشهادة، وتبسم ابتسامة حتى ظن من حوله أنه يضحك وأنه سيتكلم، ولكنه كان في النزاع ثم بعد ذلك قبضت روحه رحمه الله وأُسكنه فسيح جناته بعد غروب الشمس ليلة الأحد في أول جمادى الأولى سنة ١٤٢٢هـ ولم يبلغ العقد السبعين من عمره، وهذا هو الغالب في أعمار هذه الأمة المحمدية، كما قال النبي ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» أخرجه الترمذي عن أبي هريرة.

وكم كان قد أشيع موته زوراً وبهتاناً، حتى على مستوى الإنترنت، وياويل من كان هذا حاله^(١) ثم غُسل وكُفن رحمه الله وصُلي عليه في مكة في بيت الله الحرام بعد صلاة الفجر، وصلى عليه جم كبير، منهم جملة من العلماء كالشيخ ربيع بن هادي، والزهراني، وصالح بن عبدالله بن حميد

(١) فقد رأى النبي ﷺ رجلاً يشرشر شذقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه فقلت: «من هذا». فقيل له: هذا الذي يكذب الكذبة حتى تبلغ الآفاق. أخرجه البخاري عن سمرة بن جندب.

رئيس شؤون الحرمين والذي ساعد في دفنه في مقبرة العدل.
وكذلك الشيخ محمد بن عبدالرحمن البنا، كما أخبرني بذلك أبوإبراهيم
صالح بن قايد.

وهذا من المبشرات لوالدنا ﷺ إذ أن النبي ﷺ يقول: «ما من رجل
مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا
شفعهم فيه» أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه.

ونحن نعلم أنه قد شمت الشامتون بموت الوالد ﷺ ولا ضير في ذلك:
إذا مات كان الناس نصفين شامتٌ بموتي ومثن بالذي كنت أفعل^(١)
وإن الفرح بموت العلماء الأجلاء ليدل على بعد عن الله، وعن دينه،
قاتلهم الله، ووالدنا وشيخنا وإن مات فبعده طلبة العلم والعلماء حفظهم
الله ونصرهم.

ووالدنا وشيخنا أحد الأعلام الذين ماتوا في زمن متقارب، وقد قال لي
أنا وصويحباتي عند أن بلغه وفاة شيخنا العلامة الألباني: هذه السنة تعتبر
سنة موت العلماء، وعدّد علماء على رأسهم الشيخ ابن باز، والشيخ حماد
الأنصاري، ورأيت وجهه مملوءاً بالكآبة والحزن، وعند أن بلغه وهو في
أمريكا أذله الله يوم الأربعاء ١٥/شوال/١٤٢١هـ وفاة الشيخ ابن عثيمين
ﷺ الذي يعد أحد العلماء الكبار في هذا العصر حزن لذلك.

وإنّ موت العلماء يعد علماً من أعلام نبوة نبينا محمد ﷺ فهو القائل

(١) مرجع هذا البيت «جامع العلوم والحكم» عند حديث أبي مالك الأشعري: «الظهور شرط الإيمان».

كما في «الصحيحين» عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

ومن هذا المنطلق فالناس اليوم أحوج ما يكونون إلى علماء أتقياء يقدمون للناس الشرع صافياً نقياً، كما جاء به النبي ﷺ.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل لاسيما وأن هناك أناساً يمزجون الحق بالباطل، ويشوبونه بالكدر -قاتلهم الله- فصار كثير من أبناء المسلمين وبناتهم لقمة سائغة لمضغ أرباب الزيغ والأهواء وأبواقاً لهم.

وقد كان النبي ﷺ يخاف من هذا الصنف الزائغ فيقول: «أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان».

ويقول: «أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».

أفلا يليق بنا ويجدر أن نبذل جهودنا في طلب العلم الشرعي، الذي فيه الحياة الطيبة، والسعادة الحقيقية.

وإن العلم النافع أرفع من الملك والجاه والمنصب ومن الدنيا بخذاً فورها، والله در الحسن البصري إذ يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف.

ولو كانت الدنيا هي المعيار والميزان ولو كانت رفعة ومكرمة لأعطاها الله نبيه، وقد كان ﷺ يربط الحجر في بعض الأحيان على بطنه من

الجوع، ويمر عليه الهلال ثم الهلال وليس لهم طعام إلا الأسودان التمر والماء.

فإذا كانت هذه حالة الرسول ﷺ في الغالب وهو أكرم الخلق على الإطلاق فإنه يدل على دناءة الدنيا.

وربنا سبحانه لم يأمر نبيه بطلب المزيد من حطام الدنيا الفاني، وإنما أمره بطلب المزيد من العلم فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١).

وهذا يدل على شرف العلم وفضله، وإلى العزوف والإعراض عن الدنيا.

والعقلاء يعلمون دناءة الدنيا، وأنها متاع، والآخرة خير وأبقى. وأما الذين طُمست بصائرهم فالدنيا هي الميزان عندهم أعادنا الله من فتنة الدنيا، وورقنا العلم النافع والبصيرة في الدين، إنه على كل شيء قدير. وأسأله سبحانه أن يحشر الوالد ﷺ في زمرة الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

خاتمة

أحمد الله إذ وفقني للقيام بشيء مما أوجبه عليّ، فله الحمد والمنّة، وهذا ليس بمحصر لمناقب والدنا وشيخنا، فإن ما ذكرناه من مناقبه كما يقال غيصة من فيض.

ونحن نعتقد أنه بشر غير معصوم، فلهما سماء، فإنه لا ينجو من الخطأ والزلل، فهذا من سجية البشر وطبيعته، والله در الإمام مالك إذ يقول: كل يؤخذ من قوله ويرد، إلا صاحب هذا القبر. يعني النبي ﷺ. ويقول الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجايه كلها

كفى المرء نبلاً أن تُعد معائبه

وقال آخر:

متى يلتمس للناس عيباً يجد لهم ولكن الذي فيه أكثر

وقال آخر:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسن فقط

وقال الحريري:

وإن تجد عيباً فسد الخلا فجلّ من لا عيب فيه وعلا

وقال آخر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

ولكن حَسْبُ علمائنا أنهم يتحرون الحق، وحسبهم أنها هناء نزرة لا تخدش فيهم ألبته، فاحذر من الطعن في أئمة الدين، وهنا كلمة للحافظ ابن عساكر رحمته الله في هذه المناسبة فدونهاها.

قال رحمته الله في "تبيين كذب المفتري" ص (٢٩): اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار متقصيهم معلومة، لأن الواقعة فيهم بما هم منه برآء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم، والافتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم، إذ قال مثنياً عليهم في كتابه وهو بمكارم الأخلاق وضدها عليهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

والارتكاب لنهي النبي صلوات الله عليه عن الاغتياب، وسب الأموات جسيم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢). اهـ.

وأخيراً جزى الله خيراً كل من أبدى ملاحظة فأرشدني إلى ذلك، وأسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة وسائر أعمالي وأن يجعلها وقاية لي من

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

عذابه في الدارين.

كما أسأل المولى العلي القدير أن يجزي والدي ومعلمي خير ما جزى معلماً عن تلميذه وولده، فهو أكرم مسئول وخير مأمول، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وأسأله سبحانه أن يحفظ علماءنا ومشايخنا فإنهم حفظة الدين بأمر الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبته أم عبدالله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

في (١٥/رمضان/١٤٢٢هـ)

اليمن - صعدة - دماج

ص . ب: (٩٠٠٧٠).

الفهرس

٣	المقدمة
١٨	الوالد العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ
٢٢	محبه للعلم والعلماء
٢٣	رسوخه في العلم
٢٣	عقيدته وعنايته بذلك
٢٤	عنايته بعلم الحديث
٢٥	فقهه
٢٥	عنايته بعلم النحو
٢٥	نشاطه العلمي
٢٥	حرصه على التمسك بالسنة
٢٦	موقفه من فهم السلف الصالح
٢٧	صراعه مع المبتدعة وذوي الزيغ
٢٨	زهده وعزوفه عن الدنيا
٢٨	تواضعه
٣١	وهنا (متفرعات في تواضعه):
٣١	عدم مبالاته بكلام المغرضين المعاندين
٣٢	عدم محبه للثناء
٣٢	خوفه الشديد على نفسه من النفاق
٣٤	توكله على الله

٣٥.....	كرمه وسخاؤه.....
٣٥.....	شجاعته.....
٣٧.....	سياسته.....
٣٨.....	حلمه وتأنيبه:.....
٤٠.....	هيئته.....
٤٠.....	حرصه على الألفة والتآخي بين المسلمين.....
٤٠.....	بغضه الشديد للحزبية والبدع وأهلها.....
٤١.....	كراهيته الشديدة لزعزعة الأمن وترويع المسلمين.....
٤٢.....	رحمته وشفقته.....
٤٦.....	من ثناء العلماء عليه.....
٤٧.....	عمله في اليوم والليلة.....
٥٠.....	وهذان سؤالان طُرِحَا عليَّ.....
٥٦.....	مع النصائح والتوجيهات.....
٦٩.....	مرضه ووفاته رَحِمَهُ اللهُ.....
٨٤.....	خاتمة.....
٨٧.....	الفهرس.....